منهج

مناعة إيمانية

لطلاب وطالبات مدارس القرآن
سؤال وجواب

ليست للكتاب حقوق النشر
ومسموح بطباعته ونشره بأية صورة

٢٠٢٢

منهج

مناعة إيمانية

لطلاب وطالبات مدارس القرآن

سؤال وجواب

ليست للكتاب حقوق النشر ومسموح بطباعته
ونشره بأية صورة

للدكتور/ هيثم طلعت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعدُ:

فهذا منهج في المناعة الإيمانية، وتعزيز اليقين، وترسيخ النقد الذاتي للشبهات في عقل طلاب وطالبات مدارس القرآن الكريم.

والمنهج بنظام سؤال وجواب.

***

الدرس الأول

١ – ما هو الفرق بين آيات الله المنظورة وآيات الله المسطورة؟

ج: الآيات المنظورة: هي الآيات التي نراها بأعيننا في مخلوقات الله في العالم من حولنا، وفي أنفسنا.

بينما الآيات المسطورة: هي الآيات المكتوبة، والتي هي القرآن الكريم... وحيُ الله ربِّ العالمين.

وكلا النوعين آيات الله المنظورة وآياته المسطورة، إذا نظرتَ في أيٍّ منهما؛ فإنهما يدفعانك إلى تقوية الإيمان وزيادة الطاعة لله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس: ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٤].

ففي السماوات والأرض وفي أنفسنا آيات لقوم يوقنون... وهي آيات تزيد اليقين.

فالآيات المنظورة كالسماوات والأرض والإنسان والشجر والدوابِّ، كل هذه الآيات تدفعك لتدبر نِعم الله وقدرة الله وحكمة الله، انظر مثلًا كيف يسوقُ اللهُ الماءَ لنشرب منه ونسقي المواشي التي نأكلها والزرع الذي نتغذى عليه؟!

انظر على سبيل المثال في أحد الأنهار كنهر النيل، كيف يتشكل هذا النهر العجيب حين ينزل الماء من السماء بكميات كبيرة جدًّا على بعض الهضاب الصغيرة في إثيوبيا، ثم يتحرك من هذه الهضاب لِيُشكل نهرًا ضخمًا يرتوي منه

مئات الملايين من البشر كل يوم.

فهذا من آيات الله المنظورة.

قال ربنا سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة:٦٨-٦٩].

أما الآيات المسطورة: والتي هي آيات القرآن الكريم التي أنزلها رب العالمين على رسوله الأمين ﷺ ﴿ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾ [الطلاق:١١].

هذه الآيات هي نورٌ من الله عز وجل، ولو تدبَّرت هذه الآيات لازددت يقينًا.

فآيات القرآن تنير حياة المسلم﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٧٤].

والله عز وجل حَثَّنا على تدبرها، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء:٨٢].

وتدبُّر القرآن معناه: أنْ تقرأ كل يوم شيئًا من القرآن بتفكرٍ وتأملٍ في معاني الآيات.

والمسلم والمسلمة إذا تفكروا في آيات القرآن الكريم، ونظروا في آيات المخلوقات من حولهم، لحصل لهم الخير الكثير، ولصنعوا مجتمعًا مسلمًا صالحًا.

٢- ما هو الإسلام؟

ج: الإسلام: هو الاستسلام والخضوع والانقياد لله تعالى .

قال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥].

ومعنى (أسلم وجهه لله): أي استسلم لله وانقاد له سبحانه تعالى وتقدس ربُّنا، وهذا أحسن الناس دينًا.

إذن لو سألك إنسان من هو أحسن الناس دينًا.. بماذا تجيب؟

تقول: أحسن الناس دينًا هو مَن أسلم وجهه لله تمام الاستسلام، وانقاد له سبحانه.

وقال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤].

ومعنى (فله أسلموا) أي: استسلموا لحكمه.

فهذه الآيات تفيد أنَّ معنى الإسلام: هو الاستسلام المطلق لله تعالى، والانقياد له جلَّ في علاه، والامتثال لشرعه ومنهجه برضًى وقبول، وهذا هو جوهر الإسلام وحقيقته.

فالإسلام: هو الاستسلام لله في قضائه وشرعه

٣- ما معنى الاستسلام لله في قضائه وشرعه؟

ج: الاستسلام لله في قضائه: أي نستسلم له في العافية والمرض، فإذا كنت معافىً اشكر الله على نعمة معافاته.

وإذا أصبت ببلاءٍ أو مرضٍ -لا قدَّر الله ذلك- فاحمد الله واصبر، وقل: الحمد لله على كل حال.

فأنت تَقبَل بقضاء الله وتصبر على قضائه وترضى بقضائه.

أما الاستسلام لشرع الله فمعناه: أن تنقاد لله في كل ما شرَع وأَمَر.

فكل ما أمر الله به في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ يستسلم له المسلم.

خلاصة الدرس الأول :

على المسلم أن يتدبر في آيات الله المنظورة والمسطورة، فهذه الآيات تعينه على مزيد طاعةٍ وإيمانٍ بالله.

فالله رزقنا النِّعم من حولنا، ورزقنا الهداية، فنحن نشكر الله على نعمه، ونلتزم بهدايته.

ومعنى الإسلام: أن ننقاد لله تمام الانقياد وكمال الانقياد، وأن نلتزم بشرعه ونرضى بقضائه.

الدرس الثاني

١ – إذا كان الإسلام هو الاستسلام لله، فماذا تعني عبودية الاستسلام؟

ج: عبودية الاستسلام تعني: أن يُسْلم العبد نفسه لله، فيخضع لله وينقاد له بالطاعة، ويُذعن لخالقه ومولاه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

(تسلم وجهك لله) أي: تنقاد له، فهو الذي رزقك وتفضَّل عليك، فقد رزقك الله وأنت في بطن أُمك بما يقويك ويُنمي أنسجتك بلا نقص ولا زيادة، وأنت بلا حول ولا قوة.

وهو سبحانه يرزق النبات، مع أنَّ النبات في مكانه لا يغادره، ومع ذلك يأتيه رزقه بمقدار.

وهو عزَّ وجلَّ يرزق الدواب والطير، ويُدبر أمر كل هذا العالم بكل ما فيه منذ خلقه، ويُدبر أمرك، ويُدبر كلَّ شيء، وله مُلك كلِّ شيء.

فالعالم كلُّه مستسلم لله مِلك لله، وكل شيء في العالم يسير وَفْق النواميس التي أودعها الله فيه.

اقرأ هذه الآية: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:٨٣].

فالكون كله مُسلِمٌ لله خاضعٌ له سبحانه.

والإنسان خُلِق ووُجد في هذا العالم؛ ليُكلَّف ويُختبر ويُمتحن، هل يخضع لله

كما خضعَ له وأسلَمَ كل شيء أم سيعاند ويستكبر؟

فمعنى الاستسلام لله: الخضوع التام له وحده.

فكل ما يأمر به الله يفعله المسلم:

أمرني الله بالصلاة... إذن أُصلي.

أمرني ببر والديَّ... إذن أُبِرُّهما.

أمرني بفعل الخير... إذن أفعله.

وكل ما ينهى عنه الله ينتهي عنه المسلم:

نهى الله عن الكذب... إذن لا أكذب.

نهى عن الغش... إذن لا أغش.

نهى عن الكلام الفاحش... إذن أنتهي.

بهذا يكون الإنسان مسلمًا لله ككلِّ ما حوله من الكائنات.

لكن الذي يميز الإنسان عما حوله، أنَّ كل ما حوله مسلمٌ بلا إرادةٍ منه، فالحجر والشجر والدواب الكلُّ مسلمٌ لله بغير إرادة، أما أنت فمسلمٌ لله بإرادتك.

انظر لهذا الكون العظيم الضخم المهول بما فيه من أفلاك ونجوم وكواكب وشموس وأقمار، الكل مستسلمٌ منقادٌ لله، يسير وَفْق تدبير الله، يسير وَفْق القوانين التي أودعها الله ووَفْق تقدير الله.

قال ربنا عز وجل: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]

فكل شيءٍ خاضعٌ مستسلمٌ لله، منقادٌ لذي الجبروت والإنعام سبحانه، فكن

أنت أيضا مستسلمًا منقادًا لله.

لا تجعل الأحجار والجبال والدواب أفضل منك عند الله.

لو أنت استسلمت لله كنت أفضل ما في خلقه؛ لأنك أسلمت لله بإرادتك.

ولو لم تستسلم لله لصارت الأحجار والصخور والحشرات والحيوانات أفضل منك عند الله، فهي كلها مسلمة خاضعة له.

فلا تكن أنت الكائن الوحيد الجاحد المتمرد في كونٍ كله خاضعٌ لله.

٢- أريد مثالًا على حكمة الله؟

ج: هل فكرتَ يومًا في البذرة التي تلقيها جانبًا بعد أن تأكل الفاكهة اللذيذة؟

هذه البذرة التي عادةً ما تكون جافة وصُلبة وطعمها مرٌّ ولا رائحة لها ولا نحبها أبدًا، هذه البذرة لو اعترَضَت وقالت: لماذا يكون مَذاقي سَيِّئًا ويزهدني الناس؟

هل تتخيل ماذا سيحصل لو صار طعمها حلوًا؟

ستنتهي النباتات من العالم وينتهي الحيوان وينتهى الإنسان!

لأن هذه البذرة بداخلها كتالوج ضخم جدًّا اسمه الشفرة الوراثية، هذه الشفرة الوراثية لو وضعت في التربة سوف تصبح شجرة ضخمة تأتينا بثمارٍ جديدةٍ... وهكذا، أما لو تحولت البذرة إلى نفس طعم الثمرة، وصار طعمُها شهيًّا وأكلها الناس، فلن تتجدد النباتات مرة أخرى؛ لأن البذور التي سيأتي منها النبات تم استهلاكُها، وبالتالي ستختفي كلُّ النباتات مع الوقت، وسيختفي الحيوان بالتبعية والإنسان كذلك.

فالله لأنه حكيم، ولأنه عليم، ولأنه قدير جعل هذه البذرة بلا طعم، بل وهي مؤلمة للأسنان، لو حاولت أن تأكلها وطعمها مرٌّ في الغالب، كل هذا حتى يزهدها الناس، فيلقونها بعيدًا، فتأتي بعد سنوات بأطيب الثمر.

الشفرة الوراثية داخل البذرة عبارة عن شريط ضخم جدًّا من المعلومات، لو وُضعت هذه المعلومات بجوار بعضها البعض فإنها قد تصل إلى مئات الملايين من الحروف في كل خلية من خلايا هذه البذرة.

إنها معلومات دقيقة مرتبة أودعها الله في هذه البذرة الصغيرة، فما أن توضع في الأرض حتى يشاء الله بقدرته ورحمته أن تتحول هذه المعلومات داخل البذرة إلى شجرة عملاقة.

فكل هذا العالم مُسخَّرٌ لله مستسلمٌ له منقادٌ لتدبيره وأمره، يدبره الله كيف شاء بحكمته، وإلا لفسد العالم بما فيه.

وأنت أيضًا أيها الإنسان مُطالَبٌ بالاستسلام لله، وإلا كنت الكائن الوحيد الجاحد في كون مسلم لربه.

خلاصة الدرس الثاني:

عبودية الاستسلام تعني: أن يُسْلم العبد نفسه لله، فيخضع له سبحانه كما خضع له كل شيء، وينقاد له بالطاعة كما انقاد له كل شيء.

الدرس الثالث

١ – ما هي مظاهر التسليم لله تعالى؟

أو بصيغةٍ أخرى: كيف تعرف أنك مستسلم لله استسلامًا كاملًا؟

ج: علامات الاستسلام لله تعالى أربع وهي:

أولًا: العبودية لله في كل صغيرة وكبيرة في حياتك، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢ – ١٦٣].

صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين: كل شيء أفعله لله، فأنا أصلي لله، وأطيع والديَّ لله، وأذاكر وأتعلم حتى أنفع الناس لله، وأنام حتى أكون أقوى في الغد على فِعل ما أمرني الله به.

فهي عبودية لله في كل عمل، وهذه أولى مظاهر وعلامات التسليم لله.

العلامة الثانية حتى تكون مستسلمًا لله تمام الاستسلام: هي اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، قال ربنا سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة:٢٠٨].

في السلم أي: في الإسلام.

ادخلوا في السلم كافة: أي التزموا بكل ما أمر به الله، وانتهوا عما نهى عنه.

أمرني الله بشيء أفعله.... نهاني عن شيء أنتهي عنه، فهذا هو تمام الاستسلام

والانقياد لله.

العلامة الثالثة على التسليم لله هي: أن نُسَلِّم بتحكيم ما شرع الله، فنرضى بشرعه ونقبل به.

نقبل بكل تشريع إلهي ولا ننكر مثلًا حد السرقة -وهو قطع اليد- بل لابد أن نرضى بشرع الله؛ لأنَّ الله يعلم ما يُصلِح خلقه، ويعلم أنَّ في هذه الحدود طهارة للمجتمع ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

فالله هو الذي يعلم ما يصلح الناس في دنياهم وفي آخرتهم.

وتطبيق شرع الله يُطهر الناس ويجعلهم يعيشون في أمان.

ذهب رجل يزعم أنه مؤمنٌ بالله وبما أُنزل إلى النبي ﷺ إلى كعب بن الأشرف اليهودي ليحكم له في قضية من القضايا، بدلًا من أن يذهب إلى رسول الله ﷺ خوفًا من أن يحكم الرسول ﷺ بحكمٍ لا يعجبه، فذهب لليهودي أملًا في حكم يعجبه، فنزل قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠].

فإذا كنت مسلمًا منقادًا لله فعليك أن تلتزم بشرع الله، وأن تُسلم بحُكم الله ولو أتى حكمُ الله على غير هواك، لا أن تترك شرع الله وتذهب ليهودي ليحكم لك في قضيتك من أجل أن يرضيك.

وقال الله عز وجل في الآيات التالية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤].

فالله لم يرسل الرسل حتى نتركها ونحتكم إلى شرع غيرها.

ثم يختم الله عز وجل الدرس من هذه الحادثة وأشباهها بآيةٍ هامة تبين ضرورة الخضوع للاحتكام لشرع الله، قال ربنا عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

لابد من التسليم التام لما شرع الله، فالتسليم لشرع الله من علامات الانقياد للإسلام!

أما العلامة الرابعة على التسليم لله تعالى: فهي التسليم لأقداره، فكل شيء قدَّره الله سبحانه بحكمته، وبالتالي فالمسلم يستسلم لله في كل أقداره ... في الخير والشر.

إن أصابت المسلم سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر.

لو رزقك الله طعامًا أو رزقًا حسنًا أو بيتًا جميلًا أو نجاحًا في الدراسة أو صحةً في البدن أو أهلًا طيبين تشكر الله.

ولو أصابت المسلم ضراء من مرض أو فقر أو خوف أو بلاء أو هَمٍّ، صبَرَ على هذه الضراء واستعان بالله، فهذا حال المسلم المنقاد المستسلم لربه سبحانه.

فكل شيءٍ بتقدير الله عز وجل: الصحة والمرض والغنى والفقر... كل شيء بتقديره وحكمته، وعلى المسلم الرضا بالأقدار؛ لأن الله هو الذي يُقدِّرها.

قال ربنا سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ﴾ [التوبة:٥١].

لن يصيبنا إلا ما قدّر الله لنا.

وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٤٥].

الآجال قدَّرها الله.

وقال سبحانه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢].

فهو سبحانه يقدر ما يشاء كيف شاء بحكمته وعلمه.

فأنا كمسلم مطالب بالتسليم بكل أقدار الله عز وجل.

خلاصة الدرس الثالث:

علامات الاستسلام لله أربع:

العلامة الأولى: العبودية لله في كل صغيرة وكبيرة في حياتك، فكل شيء تفعله تنوي أن يكون لله.

العلامة الثانية: اتباع أمر الله واجتناب نهيه.

العلامة الثالثة: التسليم بتحكيم شرع الله، فترضى بما شرع الله؛ لأنَّ شرعه سبحانه هو أحكم تشريع، وأرحم تشريع، وأعدل تشريع، وأقوم تشريع.

أما العلامة الرابعة: فهي التسليم لأقدار الله كيف كانت.

وعندما تتحلى بهذه العلامات الأربع ساعتها تكون مسلمًا تمام الاستسلام لله سبحانه.

رزقنا الله وإياكم هذه الدرجة.

الدرس الرابع

١- هل الإسلام دين اختصنا الله به أم أنَّه دينٌ لجميع البشر؟

ج: الإسلام دين الله للناس جميعًا... دين الله لجميع البشر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

فالإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله غيره من الأديان: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

والإسلام هو الدين الذي أرسل الله به جميع الأنبياء والرسل، قال عزَّ وجلَّ حكايةً عن نوحٍ عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٧٢].

فنوح عليه السلام كان مسلمًا.

وأخبرنا ربنا ﷻ عن وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، فقال: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٣].

فالإسلام هو دين جميع الأنبياء.

قال نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

فدين الأنبياء واحد وهو الإسلام، وكل الأنبياء أتوا بالتوحيد وإن اختلفت شرائعهم.

عقيدتهم واحدة وهي الإسلام، أما التشريعات ككيفية الصلاة وكيفية الطهارة وكيفية الصوم، فهذه تختلف من شريعةٍ لأخرى، قال تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ [المائدة:٤٨].

فكل الأنبياء على عقيدةٍ واحدة، كلهم على توحيد الله سبحانه وإن اختلفت تشريعاتهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]

٢- كل الأنبياء جاءوا بالتوحيد، لكن هل بقي على التوحيد اليوم سوى الإسلام؟

ج: لم يبق على التوحيد سوى الإسلام.

فالإسلام هو الدين التوحيدي الأوحد اليوم على الأرض.

بينما كل المنتسبين للشرائع الأخرى أصبح لهم من الشرك نصيبٌ قَلَّ أو كَثُر، فبعد موت الأنبياء وبعد أن تركوا الناس على التوحيد اتخذ الناس مع الوقت الشركيات، ولم يبق اليوم على التوحيد النقي الذي جاء به الأنبياء سوى الإسلام.

إذن كل البشر في الأصل كانوا على الإيمان بالله، وكل الشرائع على وجه

الأرض اليوم كانت في الأصل تؤمن بالله سبحانه؛ لكن الناس مع الوقت كفروا بالله وجعلوا معه آلهة أخرى.

ولم يبق على التوحيد النقي سوى الإسلام.

٣- هل في الإسلام جواب للأسئلة التي حارت العقول في الإجابة عنها: مِن أين جئنا؟ ولماذا نحن هنا في هذا العالم؟ وإلى أين المصير؟

ج: الإسلام أجاب عن كل هذه الأسئلة في آيةٍ واحدة من القرآن الكريم، قال ربنا سبحانه: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس:٢٢].

من أين جئت؟ الله خلقني (الَّذِي فَطَرَنِي).

وإلى أين أنا ذاهب؟ سوف أذهب إلى الله لأحاسب على عملي (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

لماذا جئت إلى هذا العالم؟ لعبادة الله ولأُختبر.

لماذا أعبد الله؟ من الطبيعي أن أعبد الله الذي فطرني، فهذه طبيعة العلاقة بين العبد و ربه... أنْ يعبد العبد ربه وخالقه (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي).

آية واحدة جمعت جواب أهم ثلاثة أسئلة يحار فيها البشر ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس:٢٢].

٤- كيف أعرف أنني مُختبَر في هذا العالم؟

ج: انظر لنفسك سوف تعلم أنك مُختبَر، أليس بداخلك شعور افعل الصواب ولا تفعل الخطأ؟

لو كانت أمامك أموال وصاحبها مشغولٌ عنها، فإنه يأتيك شعور: خذ هذه الأموال واستفد منها، وشعور مقابل يقول لك: لا تفعل ذلك فهذا حرام وجريمة.

فأنت مُختَبَر في كل موقف من حياتك.

فهذا الشعور – شعور افعل ولا تفعل- يوجد بداخلك؛ لأنك بالفعل مُختَبَر ولستَ هَمَلًا... لستَ شيئًا هكذا بلا قيمة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان:٣].

فالإنسان بداخله افعل ولا تفعل، فهو إما شاكرًا وإما كَفُورًا في كل موقفٍ من حياته.

بل في كل خطوة من خطوات حياة الإنسان يمكن للإنسان أن يفعل الخير أو يفعل الشر، هل يذهب للمسجد أم يذهب ليلهو؟ هل يحضر الدروس الشرعية العلمية أم يستمع للمُلْهيات؟ كل لحظة هناك اختيارية في حياة الإنسان.

ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦].

في كل خطوة تجد نوعًا من العبودية لله أو معصية له سبحانه.

فمن وُفق لفعل ما أمر الله به نجا، ومن عصى ما أمره الله به أخطأ.

وهذه الاختيارية يترتب عليها حساب الإنسان على كل ما فعل.

فغاية خَلْقنا أن نُمتحن وأن نُختبر، وهذه هي الغاية التي أرسل الله من أجلها الرسل وأنزل الكتب ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وبعد أن ينتهي الاختبار بالموت نعود إلى الله ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٢٢].

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:٤٢].

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ [العلق:٨].

نعود إلى الله لنُحاسَب على ما قدمنا ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم: ٤٠-٤١].

سوف يُرى ما قدمتَ من عمل وستُحاسب على ذلك: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

خلاصة الدرس الرابع :

الإسلام دين الله للناس جميعًا، فهو دين جميع الانبياء ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

ولم يبق على التوحيد الذي جاء به كل الأنبياء سوى الإسلام.

والإسلام هو الذي يملك جواب الأسئلة التي حارت فيها العقول: من أين جئنا؟ ولماذا نحن هنا في هذا العالم؟ وإلى أين المصير؟

والجواب على هذه الأسئلة في آيةٍ واحدة ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٢٢].

فالله خلقنا وإليه نعود، ونحن في هذا العالم مُختبَرون، ونعلم أننا مُختبَرون مُكلَّفون.

وبعد موتنا سنُحاسب على ما قدمنا ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

جعل الله الجنة مأوانا ومأواكم

الدرس الخامس

١- ما هو أول واجب على الإنسان؟

ج: أول واجب على الإنسان: أن يعرف ربَّه الذي خلقه فسواه ورزقه وهداه، فمعرفة الله أساس الدين ومحور حياة الإنسان.

٢- لكن كيف نعرف الله؟

ج: نعرف الله بطرق كثيرة جدًّا؛ لكن سنذكر هنا أربعة طرق:

الطريق الأول: نعرف الله عن طريق الفطرة السليمة.

فالإنسان بفطرته يعلم أنَّ له خالقًا، فأنت بالفطرة تعرف أنَّ لك خالقًا خلقك بهذه الهيئة، وهذه الأعضاء، وهذه الخِلقة، وهذا الصُّنْع والإتقان المدهش.

وأيضًا الإنسان بفطرته يعلم أنه مُطالب باللجوء إلى خالقه بالعبادة، ويعلم أيضًا بفطرته أنه مفتقرٌ لخالقه سبحانه، ومحتاجٌ إليه في كل وقت، ويزداد هذا الشعور بالحاجة لله في الشدائد.

ففطرة معرفة الله فُطِر عليها كل البشر، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

فقبل أن نُخلق فُطِرنا على معرفة الله، وفُطرنا على العبودية له سبحانه

(وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا).

وقال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**».

فكلنا نُولد على هذه الفطرة، وهذه الفطرة تكفي كل إنسان يريد الحق أن يستدل على الحق، وأن يستسلم لهذا الحق متى تبين له.

وهذه الفطرة لا يستطيع أن ينكرها حتى أشد الناس كفرًا وخاصةً في الأوقات العصيبة، فالناس كلهم يلجأون لله في أوقات الشدائد وينسون ما يشركون ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧].

إذا كان الإنسان في كربٍ شديدٍ وشَعَر بالهلاك، فإنه لن يدعو إلا الله، وسينسى كل شركياته؛ وهذا الإخلاص لله في الدعاء وقت الشدائد دافعه الفطرة السليمة الموجودة بداخل كل إنسان.

يقول أحد رؤساء أمريكا -أيزنهاور- وكان قائدًا للقوات الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، يقول بعد أن شاهد كيف أنَّ القوات تعود للفطرة وقت الخطر الشديد: "لا يوجد ملاحدة في الخنادق".

ففي الخندق وقت الحرب لا يوجد منكرٌ لله، الكل يعود لله، فهذه حقيقة الفطرة التي يعترف بها كل البشر وقت الشدائد.

الطريق الثاني لمعرفة الله هو العقل؛ فنحن نعرف الله بالعقل ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

بالعقل هناك ثلاثة احتمالات لا رابع لها:

الأول: أن نكون خُلقنا من غير خالق (أم خلقوا من غير شيء) وهذا

مستحيل؛ إذ كيف نُخلق من غير خالق؟

الثاني: أن نكون خَلقنا أنفسنا (أم هم الخالقون) وهذا محال أيضًا؛ إذ كيف أَخلق نفسي قبل أن أُخلق؟

إذن بالعقل يبقى الاحتمال الثالث، وهو الذي سكتت عنه الآية الكريمة لأنه هو البديهة، وهو أنّ لنا خالقًا خلقنا، فنحن نعرف الله بالعقل.

الطريق الثالث لمعرفة الله هو النظر في مخلوقات الله:

النظر في خلق الله يضعنا أمام عظمة الله ﷻ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس:١٠١].

فكلما نظرنا إلى دقيق خلق الله وعجيب الإتقان ازددنا معرفةً بالله.

الطريق الرابع لمعرفة الله هو من خلال الرسل:

وهذا هو الطريق الأعظم لمعرفة الله عز وجل، وهو أن نعرف اللهَ من خلال رسلِهِ وأنبيائه، فالرسل أخبروا عن الله وأخبروا عن صفاته وأخبروا عن ذاته سبحانه، فمن خلال الأنبياء عرفنا الله بأسمائه وصفاته، وعرفنا كيف نعبد الله وكيف نتقرب إليه، وعرفنا كيف ننجو يوم الحساب من عذاب الله، فالرسل دعوا الناس لعبادة الله أو بمعنًى آخر: دعوا الناس للعودة لفطرهم التي فُطروا عليها وأن يَعبدوا الله كما أمر.

فالرسل أرشدوا الناس إلى طريق الحق والنجاة ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء:١٦٥].

فإخبار هؤلاء الأنبياء والرسل عن الله وتأييد الله لهم بالمعجزات، لا يجعل لأحدٍ حجة على الله يوم القيامة.

فالله عز وجل أعطاك الفطرة التي تعرف بها خالقك، وأعطاك العقل وأعطاك النظر في مخلوقاته وأرسل لك الرسل، فلم يبق لك عند الله حجة.

خلاصة الدرس الخامس:

أول واجبٍ على الإنسان: أن يعرف ربه الذي خلقه وفطَره ورَزقه وهَداه.

ومعرفة الله تكون بالفطرة السليمة التي فُطر عليها الناس جميعًا، تلك الفطرة التي يعترف بها كل البشر في أوقات الشدائد.

ومعرفة الله تكون أيضًا بالعقل؛ فبالعقل نوقن أنَّ لنا خالقًا.

ومعرفة الله تكون بالنظر في مخلوقات الله وعجيب صنعه.

ومعرفة الله تكون من خلال أنبيائه ورسله، فمن خلال الرسل نعرف الله بأسمائه وصفاته، ونعرف كيف نعبده وكيف نتقرب إليه.

الدرس السادس

١ - ما هي القواعد العقلية التي نستدل بها على وجود الله سبحانه؟

ج: **القاعدة الأولى** : العدم لا يفعل شيئًا:

العدم لا يصنع شيئًا، وهذه بديهة عقلية، فلابد لكل فعلٍ من فاعل.

وإذا نظرت إلى هذا العالم وعرفت أنه له بداية، وعلمت أنَّ الكائنات الحية كذلك لها بداية، فهذا يجعلك توقن بأنَّه لابد لهذا العالم ولهذه الكائنات من صانعٍ موجِد... وليس أنَّ العدم هو الذي أوجد العالم أو أوجد هذه الكائنات الحية، فالعدم كما قلنا ليس بشيءٍ ولا يصنع شيئًا.

إذن :بما أن العالم كلَّه بكل ما فيه من مادة وقوانين ونجوم وكواكب له بداية، فهذا دليل على أنَّ له خالقًا خلقه .

القاعدة الثانية التي نستدل بها على وجود الله وهي: أنَّ الموجودات تدل على بعض صفات مَن أوجدها:

فإذا رأيت شيئًا متقنًا فسوف تقطع بأنَّ صانعه قد أتقن صُنعه، وستقطع بالعقل أنَّ صانع هذا الشيء عنده قدرة على إيجاده وتصميمه وضبطه.

وهكذا يمكننا أن نعرف بعض صفات الخالق سبحانه من النظر في خلقه.

انظر للسماء والأرض والنبات والشجر والجبال، وانظر للدواب من حولك، عالم مدهش من المخلوقات العجيبة.

انظر لداخل جسدك، وانظر للضبط الدقيق للوظائف في جسمك.

سأعطيك مثالًا واحدًا على الصنع المبهر والضبط الدقيق والأمثلة في هذا لا حصر لها:

هرمون النمو الذي يساعدك على النمو، هذا الهرمون تركيزه في الدم : ٥ نانو جرام.

لو ازدادت نسبة هذا الهرمون بمقدار يقاس بأجزاء من المائة مليون من الجرام – يعني الجرام مقسم إلى مائة مليون جزء– لو ازداد الهرمون بأجزاء من المائة مليون من الجرام، فإنَّ هذا يؤدي إلى مرض العملقة – تضخم جسم الإنسان بصورة مخيفة–، ولو قلّت بأجزاء من المائة مليون من الجرام، فإنَّ هذا يؤدي إلى مرض التقزم – صغر حجم الجسم والأعضاء_

هذا التغير المدهش بسبب تغير بأجزاء بسيطة جدًّا من هذا الهرمون.

فانظر لجسدك الذي خلقه الله في أحسن تقويم، بهذا الضبط المدهش لهذا الهرومون ولغيره من الهرمونات.

فهذه دقة وإتقان في الخلق ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩].

فنحن مُحاطون بالرعاية الإلهية في كل جزءٍ من أجسادنا، وما الجوائز التي يحصل عليها العلماء إلا لاكتشافهم بعض أوجه هذه الرعاية في العالم.

القاعدة الثالثة والتي نستدل بها على وجود الله: هي فاقد الشيء لا يعطيه:

الأوثان والطبيعة لا تملك القدرة على الخلق ولا على الإيجاد ولا على الضبط ولا على الإتقان.

فالأوثان التي يعبدها الكفار، والطبيعة التي يؤمن بها الملحد كلاهما مفتقرٌ لخالقه.

فلا تملك الأوثان ولا الطبيعة من أمرهما شيئًا، وليس لديهما القدرة على ضبط الهرمونات بداخلك بهذا المقدار المدهش، ولا لديهما القدرة على وضع

الشفرة الوراثية، والتي هي ملايين المعلومات داخل البذرة، ولا لديهما القدرة على إيجاد أي شيء ولا حتى على إيجاد أنفسهما.

فخالق هذا العالم بهذه العجائب هو خالق عظيم عليم قدير حكيم.

والآن سنعطي بعض الأمثلة البسيطة على دقيق الصنع الإلهي والعلم الإلهي والقدرة الإلهية والحكمة الإلهية؛ لنعرف كيف أنَّ المخلوقات خلقها الله وحده وليست الطبيعة أو الأحجار أو الأوثان:

وأنت في بطن أمك لا تستخدم رئتيك في التنفس أبدًا، فأنت يأتيك الأوكسجين الذي تحتاجه مع دم الأم، ومع ذلك ومع عدم حاجتك للرئة إلا أنَّ الله خلق رئتيك وأنت في بطن أمك؛ لأنك بمجرد خروجك من بطنها ستستخدم رئتيك فورًا، وإلا فبدون رئتيك لن تعيش لحظةً واحدةً بعد الولادة.

وكذلك خلق الله عينيك في بطن أمك وأنت لا تحتاجهما أصلًا إلا بعد الولادة.

فالله لأنه عليم بما ستحتاج إليه بعد خروجك من بطن أمك، قدَّرَ لك الأعضاء التي تريدها بقدْرِها.

وخلق الله عظام جمجمتك غير ملتحمة ببعضها البعض ولا تلتحم إلا بعد الولادة بزمن؛ إذ لو كانت عظام الجمجمة ملتحمة لما استطعت النزول من بطن أمك لكبر حجم رأسك، فمن رحمة الله ومن حكمة الله أن تكون العظام غير ملتحمة، فيحصل لها تداخل وانضغاط لحظة الولادة، فينزل الجنين بسهولة من بطن أمه.

وتظل هذه العظام غير ملتحمة لزمن بعد الولادة حتى ينمو المخ بدون عوائق تمنع من نموه.

وبعد نزولك من بطن أمك بلحظات يبدأ لبن الأم في الخروج لتغذيتك، وأُمك لا تعرف شيئًا عن المضادات الحيوية التي تكون في لبنها في أول أربعة أيام، والتي تطهر مجاري جسمِك كلِّها، ولا تعرف شيئًا عن مراحل إنتاج اللبن ومستويات تركيز اللبن بحسب عمر الرضيع، فكل هذا خلَقه الله اللطيف الودود الكريم بمقدار.

وأودع الله في أبويك غريزة حبِّك والتضحية بالمال والصحة والوقت من أجلك، وهم في كل هذا راضون تمام الرضا.

فنِعم الله عليك لا تحصى في كل وقت .

وخلق الله كل محاور أعصابك والتي تنقل الإشارات الكهربية من جسمك إلى المخ والعكس، خلقها كلها مُغطاة بطبقة عازلة، كما نفعل نحن الآن مع الأسلاك الكهربية؛ لئلا تشرد الإشارة الكهربية أو تضيع أو تسبب لك إزعاجًا.

وخلق الله صمامات للإخراج؛ لئلا تتأذى ثيابُك، فهناك صمامات في الشرج وفتحة للبول، وهذه الصمامات تغلق هذه المخارج؛ لئلا تتأذى في كل لحظة.

وهناك صمامات في المعدة لئلا يرجع الطعام إلى فمك فتتأذى.

خلْق إلهي متقَن ودقيق وعجيب ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١١]

فهل الأوثان أو الطبيعة تستطيع أن تفعل من ذلك شيئًا؟

تخيل لو كانت الشمس من الفحم ... هذه الشمس العظيمة تخيل لو أنها كانت من الفحم، هل تعرف كم سيكون عمرها؟ ثلاثمائة عام فقط وتنتهي، وبالتالي تنتهي الحياة على الأرض.

فالله خلق كل شيء بمقدارٍ سبحانه.

تخيل لو أنَّ الإنسان بلا عظام؟ سيصبح كومة لحم لا حركة فيها.

لو ظللتُ أعرض الأمثلة بكل ما أوتي الناس من علمٍ ألف عام والله ما ذكرت شيئًا من نِعم الله وعجيب خلق الله ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧].

فآيات الله في خلقه لا تنتهي ولا يُحصيها أحد.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨].

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٧].

فالنظر في هذه النعم مع استحضار أسماء الله الحسنى يزيدك إيمانًا ومعرفةً بالله.

فالله هو الرزاق العليم الحكيم الخبير الكريم اللطيف المنان ذو الجلال والإكرام الحي القيوم.

فانظر في نِعم الله وتأمَّل وسبِّح بحمده ...وقل :سبحان ربي وبحمده.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ .

خلاصة الدرس السادس :

العدم لا يصنع شيئًا، فلابد من فاعلٍ لكل فعل.

الموجودات تدل على بعض صفات من أوجدها، وبالتالي يمكننا أن نعرف بعض صفات الخالق سبحانه من النظر في مخلوقاته.

ومن نظر في خلق الله وتأمَّلَ بعض نعمِ الله عليه، سيستشعر معاني كثير من أسماء الله الحسنى، فيزداد بهذا طاعةً لله ويزداد إيمانًا.

الدرس السابع

١- ما هو التوحيد وما هي أقسامه؟

ج: التوحيد: هو أن تعتقد أن الله واحد لا شريك له، أو بمعنى أكثر تفصيلاً: هو إفراد الله بالعبادة في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

إذن هناك إفراد الله بالعبادة في ألوهيته: أي أنَّ العبادة تكون لله وحده.

وفي ربوبيته: وهذا يعني الإقرار الجازم بأنَّ الله رب كل شيء وخالق كل شيء.

وفي أسمائه وصفاته: وهو الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته التي وردت في القرآن والسنة الصحيحة، من غير تشبيه لصفات الله بصفات غيره من خلقه.

٢- ما معنى توحيد الألوهية؟

ج: توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة، فتكون جميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة لله وحده ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فالدعاء يكون لله وحده بحيث لا أدعو نبيًّا ولا أدعو شيخًا ولا أدعو زاهدًا بل أدعو الله وحده، وكذلك أذبح لله وحده وليس لقبر أحد من الصالحين، وأيضًا أتوكل على الله وحده وأستعيذ به وحده.

فهذا يسمى توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية هو الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

فما خلق الله الجن والإنس إلا ليفردوه بالعبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

فهذا أول وأعظم واجب على العبيد، وهو أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا معه أحدًا ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٥-٦٦]

فأنْ تشرك مع الله أحدًا في العبادة هذا مُحبط للعمل.

فالشرك هو أعظم المعاصي على الإطلاق، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قالَ: «أنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وهو خَلَقَكَ».

والشرك ينقسم إلى قسمين:

الشرك الأكبر: وهو أن يشرك الإنسان مع الله أحدًا في العبادة، بحيث يتخذ مع الله ندًّا وهذا هو الشرك الأكبر.

ومن صور هذا الشرك أيضًا أن يأتي شخص عند أحد القبور ويدعو صاحب القبر... يدعو إنسانًا صالحًا أو نبيًّا بأن يرزقه أو يشفيه، فيقول: يا فلان اشفني من مرضي... أو يا فلان زوجني... أو يا فلان ارزقني. فكل هذه صورٌ من الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

فلا تدع من دون الله نبيًّا ولا صالحًا ولا عابدًا؛ بل ادع الله وحده، فهو وحده القادر على كشف الضر وجلب الخير لك.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٤].

فهؤلاء الذين ماتوا هم عبادٌ أمثالكم، فادعوهم ولن يستجيبوا لكم.

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[فاطر: ١٣-١٤].

فدعاء غير الله هذا من الشرك الأكبر.

وهناك شرك آخر: **وهو الشرك الأصغر**:

والشرك الأصغر له صور كثيرة؛ منها مثلًا الرياء:

والرياء هو أنْ يعمل الإنسان عبادةً أمام الناس من أجل أن يثنوا عليه خيرًا.

فيصلي ويطيل الصلاة أمام الناس من أجل أن يقولوا: هذا شابٌّ صالح.
فهذا اسمه رياء وهذه معصية، فالمفترض أن تصلي لله، وأن تكون صلاتك خالصة لله، فلا تصلِّ من أجل الناس، فإذا صليتَ سواءً في بيتك أو أمام الناس تكون صلاتك لله وليس من أجل ثناءِ أحد من الخلق، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠].
فلا تشرك بعبادة الله أحدًا من خلقه.

وقال النبي ﷺ: «**إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغرُ**». قالوا : وما الشِّركُ الأصغرُ ؟ قال: «**الرِّياءُ**». يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لأصحابِ ذلك يومَ القيامةِ إذا جازَى النَّاسَ: «**اذهبوا إلى الَّذين كنتم تُرائون في الدُّنيا، فانظُروا هل تجِدون عندهم جزاءً؟**».

فالرياء شرك أصغر.

٣- ما هو الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

ج: الشرك الأكبر هذا كفرٌ بالله، أما الشرك الأصغر كالرياء فهذه معصية، وبالتالي فإنَّ العمل الذي عملته من أجل الناس لا يقبله الله لكنه ليس كفرًا.

لنفترض أنَّ شابًّا مسلمًا دخل يصلي ركعتي تحية المسجد فوجد الناس ينظرون إليه، فقرأ بعد الفاتحة سورة الإخلاص، ثم زاد عليها من أجل الناس سورة الفلق، فهذا الشاب صلاته صحيحة؛ لكن قراءته لسورة الفلق التي قرأها من أجل الناس مردودة، وعليه ذنب الرياء.

أيضًا من صور الشرك الأصغر:

الحلف بغير الله، كمن يحلف بالنبي ﷺ، فيقول: والنبي. أو يحلف بالكعبة، أو يحلف بالشرف، فيقول: وشرفك. أو يحلف بالأمانة، فهذه كلها من صور الشرك الأصغر، قال النبي ﷺ: «**مَن حلَف بغيرِ الله فقد أشرَك**».

وكذلك من صور الشرك الأصغر التسوية في المشيئة بين الله وبين خلقه، كأن يقول: شاءت الأقدار. أو: شاءت الظروف. أو: شاءت الأقدار أن يحصل كذا وكذا. وهذا كله لا يجوز.

فالأقدار والظروف لا تشاء، وإنما المشيئة والأقدار بيد الله وحده!

أيضًا لا يجوز أن نقول: ما شاء الله وشئت.

قال رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ : ما شاءَ اللهُ وشئتَ. فقال : «**أجعلتَني للهِ ندًّا؟ قُلْ: ما شاءَ اللهُ وحدَهُ**».

وكذلك من صور الشرك الخطيرة:

تعليق التمائم، كالذي يُعلق شيئًا في يده أو في عنقه، أو يضع شيئًا في غرفته،

ويقول: هذا الشيء يجلب لي الرزق أو يجلب لي الحظ، أو يدفع عني العين.

وكثيرون منكم يرون بعض الناس يعلقون صورة الكف أو يعلقون خرزة زرقاء أو يشيرون بالخمسة أصابع لدفع العين.

وهذه كلها من صور الشرك، فهذه التمائم والأكف لا تجلب رزقًا ولا تدفع عينًا، بل لا يجلب الرزق ولا يدفع العين إلا الله.

وتشاهدون بعض الناس يعلق عينًا زرقاء خوفًا من الحسد، وهذا كله من أفعال الجاهلية، قال النبي ﷺ: «**مَن عَلَّقَ تَميمةً فقد أَشرَكَ**».

فتعليق الخرزة على الأولاد أو على البيت أو على السيارة لدفع العين، هذه كلها شركيات.

٤- هل تعليق التمائم شرك أكبر أم شرك أصغر؟

ج: لو اعتقد مَن يُعلق التميمة أنَّ هذه التميمة هي التي ترزق الإنسان بنفسها، أو تدفع عنه السوء بنفسها، فهذا شرك أكبر.

أما لو اعتقد أنَّ الله جعل هذه التميمة سببًا للرزق أو سببًا لدفع السوء، فهذا شرك أصغر.

كذلك من صور الشرك الأصغر: التشاؤم ببعض الأشخاص أو الأوقات أو الحيوانات، فإذا شاهد غرابًا تشاءم، هذا شرك أصغر.

بعض الناس يتشاءم من الرقم ثلاثة عشر، هذا شرك أصغر.

بعض الناس يتشائم من فلان أو فلانة، هذا شرك أصغر.

بعض الناس يخرج من بيته صباحًا، فيجد مثلًا حادثًا أمامه أو شخصًا مُعينًا يتشاءم منه أمامه، فيقول: هذا يوم نحس. فيتشاءم... هذا من صور الشرك الأصغر، فاحذروا من هذا الصنيع بشدة.

وقد ورد النهي الشديد عن التشاؤم، قال النبي ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرك، الطِّيَرَةُ شِركٌ**».

أيضًا من صور الشرك: إتيان الكُهَّان والعَرَّافين.

والكاهن: هو الشخص الذي يدعي معرفة الغيبيات، وإتيان هؤلاء الكُهَّان من الشرك؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله.

قال النبي ﷺ: «**مَن أتى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عن شيءٍ، لَمْ تُقْبَلْ له صَلاةٌ أرْبَعِينَ لَيْلَةً**».

فلو ذهب مسلمٌ لعَرَّاف وهو يعلم أنَّ العَرَّاف لا يعلم الغيب، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة.

أما لو أتاه وهو يُصدق أنَّ العَرَّاف يعلم الغيب، فهذه مصيبة أكبر، قال النبي ﷺ: «**مَن أتَى كاهنًا فصدَّقه بما يقولُ، فقد كفَرَ بما أُنزِلَ علَى محمَّدٍ ﷺ** ».

فهذه كلها صور مختلفة من الشرك يجب أن نحذر منها.

نعوذ بالله من الشرك الأكبر والأصغر.

وعلينا أن نعلم أنَّ الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا لو تاب منه الإنسان قبل موته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨]

والشرك الأكبر يَحرِمُ صاحبه من دخول الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

٥- هل سَبُّ الدين من صور الشرك الأكبر؟

ج: للأسف نشاهد بعض الشباب الصغار يسبُّون الدين في الطرقات وأثناء اللعب وأثناء المشاجرات، بل وحتى على سبيل المزاح والهزار، وهذه مصيبة

كبرى؛ فمَن سبَّ الله أو سبَّ الأنبياء أو سبَّ دين الله أو سبَّ الإسلام، أو ما شابه من أنواع السب واللعن والسخرية والاستهزاء والاحتقار، فهذا كفر أكبر وشرك أكبر، وعلى صاحبه أن يغتسل وأن ينطق الشهادتين وأن يتوب إلى الله تعالى، فسَبُّ دينِ الله كُفرٌ، وعلى أولياء الأمور والمعلمين أن يُنبِّهوا أشد التنبيه على خطورة هذه القضية؛ لأنها أصبحت منتشرة للأسف في كثيرٍ من المدن والقرى.

فدين الله ورسوله ليسا عرضةً للسَّبِّ ولا للَّعْنِ في شِجارٍ أو مِزاح ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾.

فالأمرُ خطيرٌ حقًّا.

خلاصة الدرس السابع:

التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، فلا أشرك به أحدًا في عبادته، ولا أدعو أحدًا غيره.

وأيُّ شركٍ مع الله في العبادة أو في الدعاء يحبط العمل، فهذا شرك أكبر.

وهناك الشرك الأصغر: كالرياء وكالحلف بغير الله، وكقولك: شاءت الأقدار أو شاءت الظروف. فهذا كله شرك أصغر.

كذلك من صور الشرك الأصغر: التشاؤم ببعض الأشخاص أو الحيوانات أو الأرقام أو المواقف.

أيضًا من صور الشرك الخطيرة: تعليق التمائم بدعوى أنها تجلب الرزق أو تدفع الضر.

ومن صور الشرك الخطيرة كذلك: إتيان الكهان والعرافين.

فهذا كله يجب على المسلم أن يجتنبه.

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بكَ أنْ نُشرِكَ بكَ شيئًا نعلَمُه ونستغفِرُكَ لِمَا لا نعلَمُ.

الدرس الثامن

١ – ما معنى توحيد الربوبية؟

ج: توحيد الربوبية: هو الإقرار الجازم بأنَّ الله ربُّ كلِّ شيء، وخالق كلِّ شيء، ومدبر كلِّ شيء، والمتصرف في كل شيء.

فالله هو الخالق لا يقدر على الخلق إلا الله، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢].

وقال عز من قائل: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ ﴾ [الأعراف:٥٤].

والمراد بالخلق هنا: إيجاد الشيء من لا شيء، فهذا لا يقدر عليه إلا الله .

والله مدبرُ كلِّ شيء، فهو متفرد بتدبير الأمور وتصريف هذا الكون ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ ﴾ [يونس:٣].

وقال سبحانه: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة:٥].

والله مالكُ كلِّ شيء، فهو المتصرفُ في كل شيء ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٢٦].

فهذا هو توحيد الربوبية.

ومن العجيب أنَّ كل البشر يُقرون بتوحيد الربوبية... يُقرون بأنَّ الله هو الخالق والمدبر ومالك كل شيء، قال الله تعالى عن المشركين: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[المؤمنون: ٨٤-٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨].

فكل البشر عبر كل التاريخ يؤمنون بالله الخالق الرازق المدبر.

بل حتى أشد الناس كفرًا وعبادةً للأوثان يؤمنون بالله الخالق الرازق المدبر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عُبَّاد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور».

فَعُبَّاد الأصنام والأوثان يفعلون كما يفعل الشخص الذي يذهب لقبور الصالحين ليدعوهم، فهذا الشخص يعلم أنَّ الله هو الخالق وهو الرزاق؛ لكنه مع ذلك يذهب للقبر ليدعو غير الله، وهذا بالضبط ما يفعله عُبَّاد الأصنام، فهم يعلمون أنَّ الله هو الخالق والرازق؛ لكنهم أشركوا معه الأصنام والأوثان في الدعاء والعبادة.

فكل الديانات تؤمن بأن الله هو الخالق وهو المُدبر وهو الرزَّاق.

لكنهم مع ذلك جعلوا مع الله آلهةً أخرى، ولم يبق على التوحيد سوى الإسلام.

وقبل سنوات حاول العلماء في الغرب دراسة تاريخ الإنسان، فقاموا بدراسة عقيدة القبائل التي تعيش على جمع الثمار في أفريقيا واستراليا، فاكتشفوا أيضًا أنَّ جميع هذه القبائل تؤمن بالله الواحد الخالق المدبر الرازق.

فكل البشر على توحيد الربوبية.

٢- هل توحيد الربوبية كافٍ؟

ج: لا

توحيد الربوبية لا يكفي حتى يكون الإنسان مسلمًا لله، فما معنى أن تؤمن

بأن الله هو الخالق الرازق المُدبِّر، ثم تتخذ معه الأوثان أو الأصنام أو الشركيات أو تدعو غيره؟

فكل الكفار على توحيد الربوبية كما قلنا، فهم يؤمنون بأنَّ الله هو الخالق، ومع ذلك يعبدون ويدعون معه آلهةً أخرى.

فتوحيد الربوبية لا يكفي ولا تكون به النجاة في الآخرة، فالكفار والمشركون مع أنهم على توحيد الربوبية إلا أنَّ الله حَكم عليهم بدخول النار؛ لأنهم جعلوا معه آلهة أخرى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

ووعيد الله بدخولهم النار حق ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق:١٤].

فليس الإسلام وليست النجاة لمجرد إقرار الإنسان بأنَّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت فحسب، بل لابد من توحيد الألوهية، لابد من عبادة الله وحده وعدم الإشراك به، بحيث يكون توجيه العبادة والدعاء لله وحده، ولابد من الإيمان بجميع رسل الله سبحانه.

إذن فتوحيد الربوبية لا يكفي ولا ينفع العبد عند الله يوم القيامة؛ إذ لابد أن يُعبد الله وحده كما شرع!

ولو كان توحيد الربوبية كافيًا لما أرسل الله رسله ولا أنزل كتبه؛ لأن البشر جميعًا يعرفون الله بالفطرة.

فتوحيد الربوبية لابد أن يكون معه توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة.

فالله الذي خلقك وهداك ورزقك هو وحده المستحق أن تعبده.

وهو وحده المستحق أن تُخضع رقبتك له، فهو باريك وهاديك.

خلاصة الدرس الثامن:

توحيد الربوبية: هو الإقرار الجازم بأن الله ربُّ كلِّ شيء وخالق كلِّ شيء ومدبر كلِّ شيء

وكل البشر على توحيد الربوبية، فهم جميعًا يُقرون بأنَّ الله هو الخالق المدبر.

لكن توحيد الربوبية لا يكفي وحده حتى يكون الإنسان مسلمًا لله.

فلابد من توحيد الألوهية... لابد من عبادة الله وحده بما شرع، ولابد من الإيمان بجميع رسل الله.

الدرس التاسع

١- ما هو توحيد الأسماء والصفات؟

ج: توحيد الأسماء والصفات يعني: الإيمان بجميع ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته من غير تمثيلٍ ولا تعطيلٍ لهذه الصفات.

من غير تمثيل: أي من غير تشبيهِ صفات الله بصفات أحدٍ من خلقه.

ومن غير تعطيل: أي من غير نفيٍ لصفات الله، فنحن نُثبت صفات الله التي أثبتها لنفسه في كتابه وسنة نبيه.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فهو سبحانه سميعٌ بصير – السميع البصير من صفات الله-، لكن ليس كمثله شيء... لا يشبه في صفاتِه شيئًا من خلقه.

٢- هل أسماءُ الله وصفاتُه توقيفية؟

ج: نعم أسماءُ الله وصفاتُه توقيفية.

ومعنى توقيفية: أي لا نثبت إلا ما أثبته لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه.

فلا نثبت اسمًا لله أو صفةً من صفاته لم ترد في القرآن أو السنة النبوية.

٣- هل نحن نعرف جميع أسماء الله الحسنى؟

ج: لا

هناك أسماء حسنى لله تعالى نحن لا نعرفُها، فنحن لم نحِط بكل أسماء الله الحسنى.

ولذلك ورد في الحديث الصحيح: «**أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ، سمَّيْتَ به نفسَكَ، أو أنزَلْتَه في كتابِكَ، أو علَّمْتَه أحَدًا مِن خَلْقِكَ، أوِ استأثَرْتَ به في عِلمِ الغيبِ عندَكَ**».

فهناك أسماء حسنى لله نحن لا نعرفُها.

٤- ما هو أثر أسماء الله الحسنى في حياة المؤمن؟

ج: أسماء الله الحسنى تُعرّفُنا بالله.

وأسماء الله الحسنى ندعو الله بها ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

وأسماء الله الحسنى نستحضر معانيها ونستوعب أثرها الإيماني.

ومن هذه الأسماء الحسنى: لفظ الجلالة "الله".

ومعنى لفظ الجلالة "الله" أي: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

ومن هذه الأسماء الحسنى أيضًا "الرحمن الرحيم": أي أنَّ شرعه رحمة وأمره رحمة وتقديره رحمة، ودعا عباده بالجهد اليسير إلى الرحمة الأبدية.

فأنت تعمل عملًا يسيرًا في الدنيا، وتنال به رحمة الله الأبدية، وتصبر على بلاءٍ، أو تجاهد في سبيل الله، أو تأتمر بما أمرك به الله، وتنتهي عما نهاك عنه، فيوصلك برحمته إلى رحمته الأبدية، والسعادة السرمدية، فهو سبحانه الرحمن الرحيم.

ومن الأسماء الحسنى "الجبار": فكل ما في العالم خاضعٌ لله، فهو سبحانه وحده المتصرف في العالم بما شاء كيف شاء، و كل أجرامِ العالمِ وأفلاكِه وقوانينِه مسخرةٌ منكسرةٌ تحت جبروته وقهره سبحانه.

ومن معاني الجبار: الذي يجبر الكسير ويجبر المريض ويجبر المبتلى، فيهون عليه أوجاعه، ويقذف في قلبه الطمأنينة والأنس، ويجبر جبرًا خاصًّا من ينكسر لجلاله، ويخضع لكماله، ويتذلل بين يديه راجيًا فضله، أو مستغفرًا من ذنب أَلَمَّ به.

ومن أسمائه الحسنى "المؤمن": الذي يُصدق الصادقين، ويقيم البراهين على صدقهم.

فهو سبحانه صدَّق رسله وأيدهم بالبراهين، وثبَّت حجتهم على خصومهم بالآيات والمعجزات والخوارق التي تُعرِّف العباد بصدق الرسل، وبالحق الذي جاءوا به.

وهو سبحانه "المؤمن": الذي يُصدِّق الدعاة إلى سبيله الصادقين، فينصرهم بالحجة إلى يوم القيامة ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١].

فلن ينتصر الكافر على المؤمنِ العالمِ بدينه في ميدان الحجة والبرهان أبدًا!

والله سبحانه من أسمائه "الحكيم": أي الموصوف بكمال الحكمة والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها.

فكل ذرة تسير في الكون بحكمة الله، وكلُّ شيء قدَّره الله في الكون، أو في جسدك، أو في أي شيء من حولِك بحكمته سبحانه، فكل بلاءٍ بحكمة، وكل خيرٍ لحكمة.

ونحن لا نحيط علمًا بشيء من حكمته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾ [طه:١١٠].

ومن أسمائه سبحانه "العليم الخبير": العليم بكل شيءٍ، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والخبير بسرائر غيب السماوات والأرض.

ومن أسمائه سبحانه "اللطيف": حيث يوصل أوليائه إلى الخيرات والكرامات بالطرق التي يعرفون والتي لا يعرفون، والتي يحبون والتي يكرهون.

فيرفع درجة عبدِه في الجنة، فيبتليه بما يَكره ليصبر ويحمد الله، فترتفع درجته، ويُقدر سبحانه أمورًا في مبتدئها مكروهة للنفس؛ كإلقاء يوسف في غيابةِ الجُبِّ، لكن تصبح عواقبها أحمد العواقب، فهو سبحانه اللطيف.

ومن أسمائه سبحانه "الواسع": واسع الصفات والنعوت لا يُحصى أحدٌ ثناءًا عليه، واسع العظمة والسلطان والملك.

ومن أسمائه سبحانه "الحليم": فيُدِرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع أنهم يعصونه، لكنه يحلم عنهم ويمهلهم لكي يتوبوا، ولا يعاجلهم بالعقوبة.

ومن أسمائه سبحانه "الحي القيوم": له كمال الحياة والقيومية، قامت به السماوات والأرض وما فيهما من مخلوقات .

فهو قيوم السماوات والأرض يحفظهما في كل لحظة.

خلاصة الدرس التاسع :

توحيد الأسماء والصفات يعني: الإيمان بجميع ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته، من غير تشبيه صفات الله بصفات أحدٍ من خلقه، ومن غير تعطيلٍ لهذه الصفات.

ولا نُثبت من الأسماء والصفات إلا ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ.

والأسماء الحسنى ندعو الله بها، ونستحضر معانيها، ونستوعب أثرها الإيماني.

ومن هذه الأسماء الحسنى: الله الرحمن الرحيم الجبار المؤمن الواسع الحكيم العليم الخبير الحي القيوم.

وعلينا أن نستحضر معاني أسماء الله الحسنى، وأن ندعوه بها دومًا.

الدرس العاشر

١ – ماهي العبادة؟

ج: العبادة هي: اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

فكلُّ أمْرٍ أمَرَ الله به فِفِعلُه عبادةٌ، وكلُّ نهيٍ نهَى الله عنه فتركُه عبادةٌ، وكلُّ عادةٍ مباحةٍ مثل الأكل والشرب والنوم تصبح عبادةً إذا قصدتَ بها امتثال أمر الله، والاستعانة بها على طاعته سبحانه وتعالى.

فإذا أكلتَ لتتقوى على فعل ما أمرك الله به، فهنا يصبح الأكل عبادة وفيه أجر، وهكذا.

والعبادة هي الغاية التي خلق الله العباد لأجلها، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦].

ومهمة جميع الرسل دعوة الناس إلى عبادة الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

فالعبادة هي حق الله على عبيده ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [يس:٢٢].

وفي الحديث المتفق على صحته، قال النبي ﷺ: «**هلْ تَدْرِي ما حَقُّ الله علَى عِبادِهِ، وما حَقُّ العِبادِ علَى الله؟**». قُلتُ: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. قالَ: «**حَقُّ الله علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا**».

فالعبادة: هي حق الله الخالص على العباد.

والعبادة شاملة لكل أفعال المسلم الظاهرة والباطنة؛ كالصلاة والصوم والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذِّكر وشتى أنواع الطاعات،

وحتى العادات التي يفعلها المسلم لله تصبح عبادة كالأكل للتَّقَوِّي على طاعة الله، فهذه كلها عبادات حيث يصبح أكلُك عبادة وحركتك عبادة، فالعبادة في الإسلام شاملة لكل أفعال المسلم الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ويستطيع المسلم أن يجعل كل تصرفاته عبادة لله، فيذاكر ويجتهد في دراسته حتى ينفع المسلمين، فتصبح مذاكرته ودراسته عبادة لله، ويعمل حتى يجتنب أكل الحرام وحتى يُطعم زوجته وأولاده لله، فيصبح عمله عبادة، ويتقي الله في عمله، ويؤديه على وجهه الصحيح، فيأخذ بعمله أجرًا... وهكذا.

مرَّ على النَّبيِّ ﷺ رجلٌ، فرأى أصحابُ رسولِ الله ﷺ من جلَدِه ونشاطِه، فقالوا: يا رسولَ الله، لو كان هذا في سبيلِ الله؟! فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن كان خرج يسعَى على ولدِه صِغارًا فهو في سبيلِ الله، وإن كان خرج يسعَى على أبوَيْن شيخَيْن كبيرَيْن فهو في سبيلِ الله، وإن كان خرج يسعَى على نفسِه يعفُّها فهو في سبيلِ الله، وإن كان خرج يسعَى رياءً ومُفاخَرةً فهو في سبيلِ الشَّيطانِ**».

فهنا تتحول الأمور العادية كالعمل والمذاكرة إلى عبادة بتغيير النية وجعلها لله.

وقال النبي ﷺ: «**كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يوم تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، قالَ: تَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عليها أوْ تَرْفَعُ له عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، قالَ: والْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَة**».

كُلُّ سُلامَى: يعني كل مَفصِل.

فالأعمال الصالحة كالإصلاح بين اثنين متخاصمين، أو إزالة الأذى من الطريق، أو إعانة الرجل الضعيف، كل هذه الأعمال تتحول إلى عبادات، وتأخذ عليها أجرًا، إذا قصدتَ بها وجه الله.

٢ – هل ينال الكافر الأجر من الله على أعماله الصالحة؟

ج: العمل الصالح فِطرة فَطر اللهُ الناس عليها، لذلك ترى أي إنسان يمكن أن يعمل أعمالًا صالحةً، ولو كان كافرًا أو مشركًا، فالكل يعملون أعمالًا صالحة للفطرة التي فُطروا عليها.

لكن شرط قبول العمل الصالح هو: أنْ يُقصد به وجهُ الله، أي: يُقصد به الحصول على ثوابه من الله.

أما الشخص الكافر بالله الذي يعبد مع الله آلهةً أخرى، فنقول له: اذهب لمن أشركتهم مع الله في عملك الصالح، واحصل على أجرك منهم، فأنت لم ترجُ بأعمالك الصالحة وجه الله وحده.

تخيل إنسانًا قام أهلُه بتربيته والإنفاق عليه حتى صار شابًّا قويًّا، ثم ذهب لغيرهم ليخدمهم، هل يحق له أن يعود لأهله؛ ليقول لهم: أعطوني أجرة خدمتي لغيركم؟

فليذهب لمن كان يخدمهم وليحصل على أجرته منهم.

ولله المثل الأعلى.

فالله هو الذي خلقك ورزقك، وامتنَّ عليك بكل النعم، ثم تترك عبادته، وتريد أن تأخذ منه أجر عملك؟ كيف هذا؟

ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ [النور:٣٩].

فالذين كفروا لا يستحقون الثواب على العمل وإن كان صالحًا؛ لأنهم كفار لم يقصدوا بالعمل الصالح أن ينالوا ثواب ربهم، ولا ابتغوا به رضا خالقِهم.

فليست القضية في مجرد العمل الصالح، فنحن جميعًا مفطورون على كثيرٍ من الأعمال الصالحة، وإنما القضية لماذا تعمل هذا العمل الصالح ولمن تعمله؟ وهل تعمله لمصلحتك الشخصية أو تعمله رياءً أو تعمله لغير الله؟

فكل هذا ليس في سبيل الله، ولا يُرجى منه ثواب العمل الصالح الذى يُرجى من الله.

خلاصة الدرس العاشر :

العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، فكل ما أمرَ الله به ففِعلُه عباده، والأعمال الصالحة كالإصلاح بين متخاصمين أو إزالة الأذى من الطريق تصبح أيضًا عبادة إذا قصدتَ بها وجه الله، بل وحتى كل العادات المباحة كالأكل والشرب والنوم تصبح عبادة إذا فعلتها من أجل أن تعينك على طاعة الله.

والعبادة هي الغاية التي خُلق العباد لأجلها، ومن أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب.

فالعبادة هي حق الله الخالص على العباد.

وكل عملٍ صالحٍ لا يُبتغى به وجه الله مردود على صاحبِه لا يقبله الله.

فالعمل الصالح الذى يُرجى ثوابه هو ما كان لله خالصًا.

الدرس الحادي عشر

١ - ماهي حقيقةُ العبادة وأركانُها؟

ج: حقيقة العبادة تتمثل في: الخضوع والتذلل وإظهار العجز والذل لرب العالمين.

فأنت تخضع لله، وتتذلل وتتضرع لخالقك ورازقك والممتن عليك بكل مِنَّةٍ ونعمةٍ وهدايةٍ... تخضع وتتضرع لمالك يوم الدين رب العالمين.

﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾ [الأعراف:٥٥].

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

فالخوف والتضرع لله والانكسار بين يديه هو حقيقة العبادة لله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٧].

ومع هذا الخوف والتضرع لله عز وجل تُحِبُّه سبحانه.

تحِبُّ مناجاته، وتحب القُرْب منه، وتحب أن تختلي بنفسك ساعةً تذكره فيها، أو تقرأ القرآن بتدبر أو تصلي بخشوع ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

فعبادتك لربك تشمل الخشوع والتذلل مع المحبة في نفس الوقت ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

رغبا ورهبا: رغبة ورهبة.

فالمسلم يعبد الله عز وجل عبادة خشية ومحبة وتعظيم له سبحانه، فيحقق بهذا حقيقة العبادة التي أرادها الله منه ويتمثل العبودية الحقة التي خُلق من أجلها.

ومن نتائج هذه العبودية الحقة أن تُحب أنْ ينتصر دين الله، وأن تحب المسلمين لحبك لله، وأن تكره الكافرين لكفرهم بالله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣].

فمن كمال حبك لله تحب المؤمنين وتبغض الكافرين.

ومن كمال عبوديتك لله أن تحب الجهاد في سبيله، ولا تمنعك من ذلك دنيا ولا مال ولا أب ولا ابن ولا زوجة ولا ولد ولا سكن ولا عمل.

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ ﴾ [التوبة:٢٤].

فمحبة الله إذا قويت في قلبك كانت طاعته مهجة فؤادِك والجهاد في سبيله أسمى غاياتك.

وسوف تكون العبادة سعادتك، كان النبي ﷺ يقول: «**قُم يا بلالُ فأرِحنا بالصَّلاةِ**».

وكان يقول: «**جُعل قُرَّةُ عيني في الصلاةِ**».

فمن أطاع الله حبَّب الله إليه الطاعة، وصارت لذته في القرب من الله، وصارت حياته كلها طيبة ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ [النحل:٩٧].

٢- لكن ما هي شروط العبادة؟ أو ما هي الشروط التي يقبل الله بها العبادة؟

ج: العبادة لا تكون صحيحة إلا إذا توافر فيها شرطان:

الشرط الأول: الإخلاص، وهو أن يقصد العبد بعبادته وجه الله تعالى دون سواه.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥].

فالشرط الأول أن تعبد الله مخلصًا له العبادة.

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: أرأيتَ رجلًا غزا يلتمسُ الأجرَ والذِّكرَ، ما لَهُ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا شيءَ لَهُ**». فأعادَها ثلاثَ مرَّاتٍ، يقولُ لَهُ رسولُ الله: «**لا شيءَ لَهُ**». ثمَّ قالَ: «**إنَّ اللهَ لا يقبلُ مِن العملِ إلَّا ما كانَ لَهُ خالصًا، وابْتُغِيَ بِهِ وجهُهُ**».

يلتمسُ الأجرَ والذِّكرَ أي: يلتمس الأجر من الله، والذِّكر بين الناس: بالمديح والشهرة، فهذا عمله مردود؛ إذ لابد من إخلاص العبادة لله، وهذا هو الشرط الأول لقبول العبادة.

أما الشرط الثاني: فهو شرط المتابعة.

ومعنى المتابعة: أن تعبد الله بما شرَع؛ فعندما شرع الله الظهر أربع ركعات إذن تصليه أربع ركعات، ولا تقول: أجعل الظهر سِتَّ ركعات. فهذا أكثر عبادة، لا... هذا إفساد للعبادة.

فالمتابعة هي أن تفعل العبادة كما أمرك الله بها، وكما فعلها النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [آل عمران:٣١].

فأنت تتبع الشرع الإلهي في طريقة أداء العبادة، ولا تبتدع من عند نفسك.

لا تقول: سأجعل السجود قبل الركوع وبعد الركوع. هذه صلاة مردودة عليك؛ لأنك أخللت بالشرط الثاني وهو شرط المتابعة.

قال النبي ﷺ: «**مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ**».

فما اخترعته في الدين مما ليس فيهِ مردودٌ عليك.

إذن شرطا قبول العبادة: الإخلاص والمتابعة.

فأنت تُخلص لله وتفعل ما أمرك الله به، دون اختراعِ شيء في الدين من عند نفسك.

خلاصة الدرس الحادي عشر:

حقيقة العبادة تتمثل في الخضوع والتذلل وإظهار العجز والذل لرب العالمين مع كمال المحبة له سبحانه.

وشرطا صحة العبادة: الإخلاص والمتابعة.

الدرس الثاني عشر

١- ما معنى البدعة؟ وما هي خطورة الابتداع في الدين ؟

ج: البدعة: هي كل مُحدَثٍ في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فالبدعة هي التعبُّد لله بما لم يشرعه الله.

فكل من تعبد لله بشيءٍ لم يشرعه الله أو بشيءٍ لم يكن عليه رسول الله ﷺ وصحابته، فهو مبتدعٌ مرتكب للبدعة.

والبدعة لا تكون إلا في الدين.

أما الابتداع في العادات فالأصل فيه الإباحة، فمثلًا إشارة المرور هذه بدعة في العادات، وبدع العادات لا شيء فيها.

فالمنهي عنه فقط هو البدعة في الدين بالزيادة أو النقصان، هذا هو المحرم والمذموم شرعًا حتى ولو كان بنيَّة العبادة لله تعالى، قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: "مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ".

وفي رواية مسلمٍ: «**مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ**».

ليس عليه أمرنا: أي ليس عليه ديننا وشرعنا، فهذا مردود على صاحبه.

وقال النبي ﷺ: «**وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ، وشرَّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعةٌ ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ**».

فأحسنُ الاتباعِ اتباعُ النبي ﷺ.

وشر الأمور محدثاتها: شر الأمور الاختراع في الدين، فكل اختراعٍ في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

٢- لكن لماذا ورد النهي الشديد عن البدعة؟

ج: حقيقة الابتداع في الدين أنَّه تغيير للدين ولأحكام الشريعة، وكأن الدين بحاجة إلى تكملة من هذا المبتدع، ولذلك البدعة أمرها خطير، وورد عليها النهي الشديد، فالله عز وجل أكمل الدين وأتم الشريعة، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

فالمبتدع يرتكب خطأً شنيعًا من حيث يظن أنه يحسن صُنْعًا ببدعته، فعندما يضيف شيئًا للدين هو بهذا كأنه يقول: إنَّ الدين ناقص وأنا سأكمله بهذه البدعة. لذلك فالبدعة دليل على الجهل الشديد والخطأ في حق الدين، ومن أجل هذا فهي ضلالٌ، حتى ولو كان صاحبُها يظن أنها شيء جيد ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٤].

أيضًا البدعة أشد خطرًا من المعصية؛ لأنَّ صاحبها يظن أنها تُقَرِّبُه إلى الله فيتمادى فيها، ولذلك قال سفيان الثوري رحمه الله: «البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ لأنَّ البدعة لا يُتاب منها والمعصية يُتاب منها».

فصاحب البدعة يظن أنه يفعل خيرًا ببدعته فكيف يتوب منها؟

بينما العاصي ينتظر دائمًا اللحظة التي يتوب إلى الله فيها.

والمبتدع يألف البدعة ويعتاد عليها، بل ويزداد تمسكًا بها مع الوقت.

لذلك كان السلف يُحذِّرون أشد التحذير من البدعة في الدين.

سُئل الإمام مالك عن شخص أحرم من المدينة وراءَ الميقات، أي أنَّ شخصًا ذهب للحج أو للعمرة، فأراد أن يُحرِم من وراء الميقات باعتبار أنه بهذا يكون أتقى لله، فقال الإمام مالك رحمه الله: هذا مخالف لله ورسوله، أخشى عليه الفتنة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، أما سمعتَ قولَه تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور:٦٣]، وقد أمر النبي ﷺ أن يُهَلَّ من المواقيت.

فالبدعة في الدين مخالفة لله ورسوله .

خلاصة الدرس الثاني عشر :

البدعة: هي إحداث وابتداع في العبادات ليس له أصلٌ في دين الله، فالبدعة هي التعبُّد لله بما لم يشرعه الله.

والبدعة صاحبها على خطرٍ عظيم، فكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النَّارِ.

الدرس الثالث عشر

١- ما هي أنواع العبادات في الإسلام؟

ج: للعبادات في الإسلام أنواع كثيرة منها:

١ـ العبادات القلبية: ويُقصد بها العبادات التي مصدرها القلب، وهي أصل الأعمال وأساسها وكل عبادات الجوارح؛ كالصلاة والذِّكر وغيرها تبعٌ للعبادات القلبية.

وعلى العبادات القلبية يترتب ثواب الأعمال والتفاضل بين الناس.

والعبادات القلبية تعكس مدى ارتباط المسلم بربه، وتَوثُّق صلته بالله، وتوكله عليه ويقينه به، فالعبادة القلبية تزيد في الإيمان، وأيضًا كلما ازددت طاعةً لله زادت هذه العبادات القلبية رسوخًا في القلب.

ومِن العبادات القلبية:

محبة الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

فمحبة الله وإيثار محبته سبحانه على ما سواه هذه من أعظم العبادات القلبية.

أنْ يكون اللهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِواهُما.

ومحبة الله تكون بالتزام أمره واجتناب نهيه، واتباع رسوله ﷺ في كل كبير وصغير، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران:٣١].

أيضًا من العبادات القلبية:

الخوف من الله، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وقد مدح الله عز وجل الذين يخشونه، فقال عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

فمن يخشى الله يسارع في الخيرات، فالخوف من الله يبعث على العمل الصالح والإخلاص فيه.

وكما قال النبي ﷺ: «**من خافَ أدلَجَ ، ومن أدلَجَ بلغَ المنزلَ**».

ومعنى الحديث: أنَّ الشخص الذي يخاف من عدم الوصول يدلج، أي: يسير بأول الليل حتى يصل سريعًا، فالذي يخاف من ربه يعمل لمرضاته في كل وقت وفي أقرب فرصة حتى يصل لرضا ربه.

كذلك من العبادات القلبية:

الرجاء وحسن الظن بالله، قال ربنا سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والرجاء وهو الاستبشار بجود الله وفضله، والطمع في إحسانه وإنعامه، وهذا الرجاء يكون مع الأخذ بالأسباب، فأنا أرجو أن يغفر الله لي إذن آخذ بالأسباب، وأستغفر وأعزم ألا أعود للذنب، بهذا أرجو مغفرة ربي.

والرجاء يجعل العبد يستبشر ويحسن الظن بربه ...وربُّنا سبحانه لطيف ودود كريم غفور رحيم، فأبشِر وأحسِن الظن بالله، قال النبي ﷺ: «**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ عَزَّ وَجَلّ**».

ومن العبادات القلبية كذلك:

التوكل على الله، قال عزَّ مِن قائل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

والتوكل يعني :صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.

فأنت تتوكل على الله، وتثق أنَّه لا يرفع البلاء إلا هو، وتوقِن أنَّه لا يُقدر الأقدار إلا الله، وبالتالي تتوكل عليه وحده، ومن يتوكل على الله يحبه الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

هذه كانت بعض العبادات القلبية، وهي أعمال عظيمة ترفع درجة العبد عند ربه.

وهناك العبادات القولية: ويُقصد بها العبادات التي مصدرها اللسان، مثل:

الدعاء: فالدعاء عبادة قولية قال الله تعالى :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

كذلك من العبادات القولية:

الذِّكر: فذِكر الله سبحانه عبادة قولية، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١].

أيضًا من العبادات القولية:

الدعوة إلى الله، فأنْ تدعو الناس إلى الله كأنْ تدعو غير المسلم إلى الاسلام أو تدعو زميلك الذي لا يصلي إلى الصلاة، فهذه من أعظم العبادات القولية، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت:٣٣].

فمن يدعُ إلى الله هو من أحسن الناس قولًا.

٣- **وهناك العبادات البدنية**: وهي العبادات التي تُؤَدَّى بالبدن؛ كالصلاة

والصوم والحج.

٤- **وهناك العبادات المالية**: وهي التي تُؤَدَّى بالمال؛ ومنها الزكاة وإطعام الطعام.

٢- لماذا نعبد الله؟

ج: لأن الله وحده هو الذي يستحق أن يُعبد.

فلا يستحق العبادة إلا الله، فهو الخالق الذي أوجَدَنا من العدم، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١]

وهو الذي هدانا وهو الذي شرع وقدَّر وأمر ونهى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فليس له الخلق فقط، وإنما له الأمر أيضًا، ونحن نأتمر بأمره سبحانه.

فالعبادة هي حقُّ الله على عباده، فهو سبحانه الذي فطرنا وأحيانا ورزقنا وهدانا وأرسل إلينا رسله؛ ليختبرنا وليبلونا مَن مِنَّا أحسن عملًا، فالعبادة هي حق الله علينا ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك:٢].

لكن في نفس الوقت لابد أن نعلم أنَّ الله سبحانه غنيٌّ عنا وعن كل عبادتنا وعن العالمين، فمن عمِل خيرًا فلنفسه ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦].

فالله غنيٌّ عنَّا وعن عبادتنا، لكن نحن من نحتاج إلى العبادة، فهي تنفعنا نحن ولا تستقيم حياتنا وآخرتنا إلا بها، ولا تنصلح أخلاقنا إلا بها، فالعبادة تنهى

عن الفواحش والمنكرات وتصلح بها دنيا الناس، قال ربنا تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥].

ولا نفوز بالجنة إلا بالعبادة، فهي النجاة في الآخرة والهناءة في الدنيا.

فالعبادة لنا نحن ولخيرنا نحن، وهي واجبة علينا تجاه الله عز وجل لأنه خالقنا، ونَفْعُها يعود علينا نحن فقط والتقصير فيها يعود علينا نحن فقط، لذلك قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ، ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ، فلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**».

فالله غنيٌّ عنَّا، لكن هي أعمالُنا وأجرُها لنا ووزرُها علينا.

والجنة غالية، فمن يريد الجنة يعمل لها، فنحن المحتاجون إليه سبحانه... المحتاجون لعبادته، وهو الغنيُّ عنَّا وعن كل خلقه.

خلاصة الدرس الثالث عشر:

العبادات أنواع كثيرة منها عبادات قلبية؛ كمحبة الله والخوف من الله ورجاء الله والتوكل على الله.

وهناك العبادات القولية؛ كالدعاء والذِّكر والدعوة إلى الله.

وهناك العبادات البدنية؛ كالصلاة والصوم والحج.

وهناك العبادات المالية؛ كالزكاة والصدقة.

ونحن نعبد الله لأنه هو الذي فطرنا وخلقنا ورزقنا وهدانا وأرسل إلينا رسله، فله سبحانه الخلق والأمر.

وأجر العبادة لنا نحن، فالله غنيٌّ عنَّا وعن العالمين.

فهي أعمالنا يعود ثوابها علينا، فنحن المحتاجون لرضوان الله ومغفرته وعبادته.

الدرس الرابع عشر

١- ما هي ثمراتُ عبادةِ الله سبحانه وتعالى؟

ج: الإنسان بفطرته لا يعرف ذاتَه ولا تطمئن روحُه ولا تهدأ وحشةُ قلبه إلا بعبادة الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

فبالعبادة يطمئن الصدر ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩]

اعبد ربك... اذكر ربك فيطمئن صدرُك.

ولذلك ركعتان بخشوع وتدبر تفعلان في النفس الإنسانية ما لا تفعل ساعات من جلسات التهدئة النفسية.

فالعبادة فيها طمأنينة النفس الإنسانية، وكل بعيدٍ عن ذكر الله يضيق صدره، فتجده دائمًا يتلهف على الدنيا، فلا هو يشبع ولا يطمئن ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤].

فمهما كان الإنسان في سعةٍ من الرزق إلا أنَّه بدون الإيمان يحيى في ضنك، وفي سباق محموم لا ينتهي مع المجهول، فتراه دائمًا قَلِقًا.

قال النبي ﷺ: «**من كانت الدُّنيا همَّه فرَّق اللهُ عليه أمرَه، وجعل فقرَه بين عينيْه، ولم يأتِه من الدُّنيا إلَّا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرةُ نِيَّتَه جمع اللهُ له أمرَه، وجعل غناه في قلبِه، وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ**».

فالعبادة تحرر المسلم من الخضوع للدنيا، وتجعله حرًّا.

ولذلك المسلم الذي يعبد الله بحقٍّ هو إنسان فَهِم معنى الحياة، وفهم قيمة الدنيا، وفهم غاية وجوده في هذا العالم، وفَهِم أنَّه في هذا العالم ليُختبَر وليعبد ربه حق العبادة، وليس ليعيش في قلق بلا طائل تحته، قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

أيضًا عبادة الله عز وجل هي سبب في محبته ومعيته.

قال النبي ﷺ: «**احفَظِ اللهَ يحفَظْك ، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك**».

فإذا حفظت حدود الله بحيثُ يَجِدُك في الطَّاعاتِ ولا يَجِدُك في المعاصي، حِفظك مِن الشُّرورِ، وحِفظَك في نَفسِك وأهلِك ومالِك ودِينِك ودُنياك، وحِفظك مِن مكارِهِ الدُّنيا والآخِرةِ.

فالله مع عبده الصالح ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١٩].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

فطاعة الله سبب لمعيته ونصرته.

وأيضًا طاعة الله جعلها الله سببًا لدخول الجنة برحمته ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢].

فكلُّ خيرٍ في طاعة الله، وكلُّ أذًى وضيق في البعد عن الله.

٢- لكن كيف تكون العبادة سببًا في معية الله بينما الأمة المسلمة اليوم أضعف من الأمم الكافرة؟

ج: هذا السؤال مهم جدًّا.

والجواب لا علاقة بين الأفضلية وبين التقدم الحضاري.

فلا يلزم من كون الإنسان فاضلًا وصالحًا أن يكون متقدمًا حضاريًّا،

فقد يكون الشخص ملتزمًا بتعاليم الإسلام لكنه فقير بسيط، وقد يكون العكس.

فالعبرة ليست بالثراء المالي المجرد.

وقد كان الكفار عبر التاريخ يحتجون على الأنبياء بنفس هذه الحجة فيقولون للأنبياء: أتباعكم فقراء.

قال الكفار لنوح عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود:٢٧].

ونفس الحال حصل مع كفار مكة ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

فدائمًا الكفار يحتجون بهذه الحجة الساقطة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:٧٣].

أيُّ الفريقين أفضل ماديًّا؟

فهذه حجة خاطئة تمامًا، فما علاقة التقدم المادي بكوني على حق أو على باطل؟

كم من الأمم كانت متقدمة حضاريًّا وهي من أبعد الناس عن شرع الله ودينه ووحيه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم:٩].

كانوا متقدمين ماديًّا لكنهم بالمقياس الأخروي... بالمقياس الديني، في غاية التخلف والبعد عن وحي الله.

فالتقدم المادي والثراء المالي ليسا معيارًا على صاحب الحق ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [غافر:٨٣].

فالتقدم الدنيوي المفتَقِد للتسليم للوحي الإلهي هو باب فتنة عظيمة، وقد يكون باب استدراج يُستدرج به الغافلون؛ ليكون هذا التقدم شغلهم الشاغل ومنتهى ما يأملون من الحياة فيهلكون كافرين ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:٥٥].

﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ ﴾ [الزخرف:٣٣].

فليس التقدم المادي ممدوحًا في ذاته وليس مذمومًا في ذاته، وإنما يُمدح بقَدْر تزكيته بالوحي الإلهي، وبقَدْر تطبيق الدين فيه، وبقَدْر انتفاعك به في دينك، وبقَدْر ما تستخدمه في نفع الناس وصلاح أحوالهم.

وهذا هو التقدم المطلوب.

فمعيار التفاضل الحقيقي بين البشر ليس في تقدمهم المادي ولكن في التفاضل بالتقوي والعمل الصالح، ويأتي التقدم المادي كوسيلة وليس كغاية، يأتي كوسيلة لخدمة ونفع الناس.

فيكون تقدما ماديًّا مُزكًّى بالوحي الإلهي وهو وحده التقدم المطلوب.

إذن فمعنى الاستخلاف الحقيقي في الأرض هو استخلاف عبودية لله، واستخلاف تزكية إيمانية لكل مناحي الحياة ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١].

هذا هو معنى الاستخلاف الحقيقي في الأرض.

واعلم أنَّ المسلم إذا فعل ما عليه يَسَّر اللهُ له أسباب كل خيرٍ وسعادة وتقدم في الدنيا، ونجاة ورفع درجة في الآخرة ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور:٥٥].

خلاصة الدرس الرابع عشر:

من ثمرات عبادةِ الله سبحانه وتعالى: اطمئنان النفس وسكون الروح ومعية الله ونصرتِه ودخول الجنة برحمة الله.

والتقدم المادي الحضاري ليس غايةً للإنسان في ذاته، وإنما الغاية الأساسية تحقيق العبودية لله في الأرض.

وإذا فعل المسلم ما عليه يَسَّر الله له أسباب كل خير وتقدم في الدنيا ونجاة في الآخرة.

الدرس الخامس عشر

١ – اذكر بعض مظاهر قدرة الله في خلق الإنسان؟

ج: من يتأمل في الإنسان يجد في خلقه مظاهر عدة لقدرة الله عز وجل، وبديع صنعه وعجيب إتقانه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾ [الذاريات:٢١].

ومن صور قدرة الله تبارك وتعالى :

البَصْمة :

فبصمة الأصابع آية من آيات الله، فهي خريطة لا يتشابه فيها اثنان من البشر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعجزة في قوله تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ ﴾ [القيامة: ٣-٤].

والبَنَان في لغة العرب هو أطراف الأصابع.

فالله قادر على أن يعيد ليس عظام الإنسان يوم القيامة فحسب، بل هو سبحانه قادرٌ أيضًا على إعادة تسوية أصابع كل إنسان ببصمته المميزة.

ولم يكتشف العلماء حقيقة البصمة المعجزة إلا في نهاية القرن التاسع عشر، فبصمة كل إنسان ثابتة متميزة، لا تتأثر بتقدم العمر ولا بالإصابات، وحتى لو احترق جلد الأصابع فإنَّ البصمة تعود بنفس شكلها الأول.

أما لو ذهبنا للعين:

تلك النعمة التي لا تُقدر بثمن ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴾ [البلد:٨].

فدقة العين توازي: خَمْسمائة وستة وسبعين ميجا بيكسل.

وتحتوي العين على أنقى عدسة في العالم.

وحجم المستقبل الضوئي في الشبكية لا تتجاوز مساحته نصف ملليمتر مربع، ويميز بها بين عشرة ملايين درجة لونية بأبعادها المختلفة، إنَّه إعجاز وخلق إلهي مبهر.

وعندما تنظر لشيءٍ أمامك ويسقط الضوء على شبكية العين، فإنه تحصل في هذه اللحظة عدة عمليات كيميائية معقدة تُوَلِّد في الأخير تيارًا كهربيًّا، ينتقل هذا التيار من شبكية عينك إلى دماغك عبر أسلاك عصبية، والدماغ هنا يقوم بتفسير تردد هذا التيار الكهربي على أنه رؤية، وكأن الدماغ يمتلك قاموسًا متكاملًا مسبقًا يُحول التيار الكهربي الذي وصل إليه إلى رؤية لما أمامَك.

شيء مدهش لو فكرتم فيه!

تخيل: هذا المخ يقبع داخل صندوق عظمي مظلم - الصندوق المظلم هو الجمجمة- ولا يصل لمخِّك إلا تيارات كهربية.

فكيف يفسر المخ هذا التيار على أنَّه رؤية؟

كيف أعطاك الرؤية؟

هذا الإعجاز يحصل في لحظة بمجرد أن تفتح عينيك وتنظر!

ونفس الأمر بالنسبة للسمع:

حيث تدخل موجات الصوت إلى طبلة أذنك، فتُحولها طبلة الأذن من موجات إلى حركة ميكانيكية، ثم تنتقل هذه الحركة الميكانيكية عبر ثلاث عظمات صغيرة جدًّا داخل الأذن الوسطى إلى الأذن الداخلية والتي تحولها إلى تيار كهربي.

هذا التيار الكهربي سوف ينتقل الآن من الأذن الداخلية إلى المخ، ليبدأ المخ

في تمييز هذا التيار الكهربي إلى أصوات فتسمع الصوت!

كل هذا يجري أيضًا في أقل من جزء من الثانية ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

تخيل أنَّ المخ تصل إليه كل لحظة آلاف الإشارات الكهربية من العين والأذن واللمس والتذوق والشم، ومن أعضاء الجسم المختلفة ليميز بين كل هذه الاشارات بدقة، من أعجب ما يكون ﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان:١١].

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨].

وبالتوازي مع كل هذه الإشارات التي تصل للمخ، فإن المخ يدير أيضًا عمليات النمو وعمل الأعضاء، وما لا يُحصى من الحركات التي نؤديها في كل لحظة.

لذلك قال بعض العلماء: إنَّ المخ هو أعقد آلة في هذا الكون.

وفي كل جزء من جسم الإنسان تعقيد مبهر مازلنا نكتشف بعضًا من عجائبه.

تخيل لكي تؤدي حركة واحدة بسيطة بإصْبَعك فإنك بحاجة لمنظومة هائلة من الوصلات العصبية الكهربية الكيميائية، التي تخرج من المخ حتى تصل إلى العضلة المطلوبة في الإصبع؛ حيث تتحرك الإشارة الكهربية من المخ على طول العصب، ثم تتحول هذه الإشارة الكهربية في آخر العصب إلى إشارة كيميائية لتنتقل للعصب الذي يليه، ثم تتحول إلى إشارة كهربية على طول العصب وهكذا حتى تصل للعضلة.

فكل عصب تسير فيه الإشارة على شكل تيار كهربي، لكن في نهاية العصب تنتقل الإشارة الكهربية إلى العصب المجاور عبر النواقل الكيميائية، وهكذا تظل تنتقل الإشارة حتى تصل للعضلة التي تريد قبضها أو بسطها.

طريق طويل... فتخرج في النهاية الحركة التي أنت تريدها بنفس القدر والقوة والاتجاه المناسبين، كل هذا التعقيد والطريق الطويل يحصل بمجرد أن تفكر في تحريك أحد أصابعك.

شيء معجز حقًّا فما بالك بعشرات العضلات التي تحركها كل لحظة!

ثم تخيل ضبط الهرمونات التي تُفرَز بحسب الطلب والحاجة بضبط دقيق للغاية وحسابات حساسة لأبعد حد، فبحسب كمية السكر التي تقوم بتناولها يتم إفراز هرمون الإنسولين.

نِعم الله لا تحصى ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

من هذا الذي يُحصي نعمة واحدة من نعم الله؟

فكِّر في كل مَفصِل في جسدك، وفي كل عظمة تتيح لك الحركة بقدرها!

فكِّر في المفاصل الملساء التي تتيح لك الحركة بلا احتكاك بين العظام ولا تآكل، هذه المفاصل التي أودع الله فيها سائل كالشحم الذي يوضع في مفاصل الآلات!

فكِّر في نعم الله متأملًا شاكرًا لأَنْعُمِه سبحانه.

الدرس السادس عشر
الفرق بين الوسواس والشبهة

١ - ما معنى الشبهة؟

ج: الشبهة: هي مسألة لا يفهمها المسلم في دينه، وقد تلتبس عليه إلى أنْ يجد لها ردًّا.

٢ - لماذا هناك شبهات حول بعض الأمور في الإسلام؟

ج: شاء الله سبحانه أن تكون هناك أمور مشتبهة في مسائل فرعية من الدين، حتى يبتعد بها من يريد الباطل عن طاعة ربه.

قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ [آل عمران:٧].

فالذي في قلبه زيغ سيتبع هذه الشبهات ابتغاء الفتنة وابتغاء البعد عن الله.

فقد شاء الله بحكمته أن يكون هناك إيمان وكفر ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن:٢].

فيتعلق بهذه الشُّبُهات مَن يريد الكفر، وينشغل بها عن دينه، وعن صلاته وعن إيمانه.

أما المؤمن فإنه يتبع الأدلة المحكمة الثابتة والتي هي (أُمُّ الْكِتَابِ) ولو وَجد شيئًا لا يفهمه فإنه يسأل عنه، لكنه لا ينشغل بها لا يفهمه عن دينه أو عن صلاته.

فلا ينشغل عن دينه بما لا يفهمه إلا مَن في قلبه مرض ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١].

ومن حِكمة وجود الأمور المشتبهة أيضًا أنَّ هذه المتشابهات يتمايز بسببها أهل العلم وأهل البصيرة في دين الله، فترى العالِمِ يعرف جواب الأمور المشتبهة، ويتميز بها عن الشخص العامي الذي لم يتعمق في الدين ولم يدرسه، فيرفع الله الذين أوتوا العلم درجات.

٣- ما هي الوساوس؟

ج: الوساوس: هي أفكار مزعجة تقفز فجأةً إلى عقل الإنسان.

مثال على ذلك: عندما تذهب للصلاة قد تشعر أنَّ ريحًا خرجت منك، أو أنَّ قطرة بول قد نزلت للتو، وفي الواقع هذه وساوس ليست لها حقيقة وعلى المسلم ألا يلتفت إليها.

وقد علَّمنا النبي ﷺ كيف نتعامل مع هذه الوساوس، فأرشدنا إلى: عدم الانصراف عن الصلاة بمجرد الشعور بخروج الريح إلا أن نسمع صوتًا أو نشُم ريحًا.

قال النبي ﷺ: «**لا يَنْفَتِلْ - أَوْ لا يَنْصَرِفْ - حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا**».

فيجب تجاهل هذه الوساوس وعدم الالتفات إليها حتى تختفي ذاتيًّا.

وهناك نوع آخر من الوساوس وهي التساؤلات التي تقفز إلى الذهن فجأةً عن الدين، وعن النبي ﷺ ، وعن الذات الإلهية، وعن اليوم الآخر، وعن الجنة والنار وغير ذلك، وعادةً تكون هذه الوساوس عبارة عن تساؤلات غريبة تزعج صاحبها وتجعله يشعر أنَّ إيمانه في خطر.

وهذه الوساوس لا شيء فيها على الإطلاق بل هي دليلٌ على أنَّ صاحبها على صريح الإيمان، فصاحبُها منزعجٌ منها ويريد التخلص منها، وهذا دليلٌ على إيمانه، جاء أشخاص إلى النبي ﷺ فقالوا له: إنَّا نَجِدُ في أنْفُسِنا ما يَتعاظَمُ أحَدُنا أنْ يَتَكَلَّمَ به. قال: «**وقدْ وجَدْتُمُوهُ؟**». **قالوا: نَعَمْ. قالَ:** «**ذاكَ صَرِيحُ الإيمانِ**».

فهذه الوساوس هي صريح الإيمان كما أخبر النبي ﷺ .

٤- كيف نتعامل مع هذه الوساوس؟

ج: لو تعاملت مع الوساوس كما تتعامل مع الشُّبُهات، فبدأتَ البحث عن جوابٍ لها فإنها بهذا تزداد، وهذه طبيعة الوساوس أنها تزداد بالاهتمام بها والرد عليها والانشغال بها والتركيز معها؛

لأن الوساوس هي أسئلة مزعجة تظهر فجأةً بدون سابق إنذار، وهذه الأسئلة تكون عبارة عن فروض عقلية بلا معنًى فعلاجُها في كل الأحوال هو التجاهل التام وليس الاهتمام، وسوف تختفي ذاتيًّا مع الوقت.

فالوسواس يستمد وجودَه من انزعاجك منه، ويحاول الوسواس أنْ يقنعك بأهميته أو أنه يؤثر على إيمانك بالله، حتى تنشغل به، فاحذر من ذلك وتعامَل معه بتجاهلٍ تام وسوف ينتهي.

إذن يجب تجاهل الوسواس، وهذا ما أوصى به النبي ﷺ فقال: «**فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ ولْيَنْتَهِ**».

ومعنى الانتهاء: هو التجاهل التام للفكرة الوسواسية، وعدم الالتفات إليها، وعدم الاهتمام بها مهما كانت مزعجة ومتكررة، وسوف تختفي .

الدرس السابع عشر
العلم التجريبي والإنسان

١- كيف نشأ العلم التجريبي؟

ج : نشأ العلم التجريبي كالفيزياء والكيمياء والأحياء بسبب الإيمان بالله.

فنتيجةً للإيمان بالله آمن الناس بأن هذا العالم مُرتَّب ومُنظَّم وفيه تصميم، فبدأ الناس ينظرون في تصميم العالم وقوانينه، فظهر العلم التجريبي.

إذن فبداية العلم هي الدين.

وطالما أنَّ العالَمَ قد خلقه الله، فلابد أن يكون هذا العالم ممتلئًا بقوانين مُتْقَنة عجيبة تحكمه، وطالما أننا مخلوقون مُكَلَّفون إذن يمكننا استيعاب هذه القوانين التي خلقها الله؛ لأن هذا الاستيعاب للقوانين يترتب عليه الإقرار ببديع الخلق وعجيب الصنع ...فتوقَّع الناس وجود القوانين والنُّظُم العجيبة في الكون، ومن هنا بدأ البحث في العالَم، فظهر العلم التجريبي .

٢- هل العلم التجريبي كافٍ لجواب كل سؤال؟

ج :لا.

العلم التجريبي يجيد جواب الأسئلة الدنيوية ...يجيد توفير ما نحتاج إليه ماديًّا؛ كالدواء والطائرة والقطار.

لكن أهم ما يشغل الإنسان لا يملك العلم التجريبي جوابه.

فالعلم التجريبي لا يعرف جواب سؤال : لماذا نحن هنا؟ ماذا بعد الموت؟ لماذا يجب أن نكون على أخلاق؟

هذه أسئلة جوابها فقط داخل ميدان الإيمان بالله .

٣- ما معنى الإنسان؟

ج :الإنسان :هو كائن مخلوق لله.

مخلوق ليعبد الله.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]

فأنت لا تعرف معنى وجودك ولا غاية وجودك إلا بعبادة الله عز وجل.

ولذلك لو كفر الإنسان بالله فلن يعرف معنى وجوده، وسيعاني من الشعور بالضياع واللامعنى والعبث التام ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤]

وسيشعر الإنسان بأنه بلا قيمة في هذا العالم، لذلك قال الله عز وجل:

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة:١٣٠].

فإذا ابتعد الإنسان عن وحي الله عز وجل سَفِه نفسَه ولم يعرف قدرها.

فالإنسان لا يعرف مكانه في العالم وقيمته في الوجود إلا بعبوديته لله .

٤- ما هو شكل العالم بدون الإيمان بالله؟

ج :بدون الإيمان بالله سيصبح الإنسان كائنًا ماديًّا يعيش ويموت بلا معنى ولا قيمة، ولن يكون هناك فرق بينه وبين الأحجار أو الحيوانات، ولن يعرف معاني الصدق ولا الخير ولا الشر ولا الصواب ولا الخطأ؛ لأن هذه المعاني لا وجود لها في العالم المادي ولا في عالم الحيوانات، فأنت إذا نظرت إلى الحائط الذي خلفك، هذا الحائط لا يعرف معاني الخير والشر ولا معاني الصواب والخطأ، وكذلك الحيوانات لا تعرف هذه الأمور، وكذلك مخك يتشكل من نفس الذرات التي يتشكل منها العالم من حولك، فما الذي يميزك عن الحائط وعن الحيوان؟

ربما ستقول يميزني العقل؟

لكن لا وجود للعقل في العالم المادي، ولا يوجد عضو في الجسم اسمه العقل.

إذن لن تستطيع الدفاع عن العقل ولا عن القيم ولا عن العدل أو الخير أو الأخلاق من خلال النظرة المادية للعالم، وستكون أنت نفسك عبارة عن ذرات ملتحمة بلا معنى، فمعاني الأخلاق والقيم والعقل لا توجد في هذا العالم المادي، ولا تنتمي إلى عالم الطبيعة أو عالم الذرات أو عالم الحيوانات، وإنما تنتمي فقط إلى عالم التكليف الإلهي وعالم الوحي وعالم الدين، فلو ابتعد الإنسان عن الدين وأنكر الله عز وجل سيعيش أشبه فعليًّا بالحيوانات؛ بل والجمادات في كل سلوكياته، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩]

فلا يعرف الإنسان مصدر الأخلاق ولا معنى التكليف ولا معنى العقل؛ تلك الأمور التي يشعر بها في داخله، إلا إذا كان يؤمن بالله والأنبياء والكتب واليوم الآخر.

لذلك فالإيمان بالله هو ضرورة؛ لتعرف معنى وجودك وتعرف غاية حياتك، وتعرف لماذا أنت يجب أن تكون على أخلاق، وتعرف مصدر الشعور بالتكليف بداخلك، وتعرف أنك عاقل.

فكل هذا تفهمه وتعرفه فقط إذا آمنت بالله واتَّبعت الوحيَ والنبيَّ محمدًا ﷺ .

٥- كيف يبتعد الإنسان عن الإيمان بالله؟

ج: الشهوات والمعاصي هي بداية أي فتنة وأي بُعد عن الله عز وجل.

فالشهوات تجعل الدنيا تكبر في عقل الإنسان، فينسى آخرته ويزداد ركونًا إلى الدنيا فيضعف مع الوقت، ويُذنب ولا يتوب، وتكثر المعاصي ولا يستغفر ويرجع، فتكون عاقبته أنه يبتعد عن الله شيئًا فشيئًا.

ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فمن يتبع هواه يُفتن ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

ومن يسير خلف الذنوب والهوى والإهمال في الصلاة ولا يتوب يهلك، قال النبي ﷺ: «**وثلاثٌ مُهلِكات؛ هوًى مُتَّبَع، وشُحٌّ مُطاعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه**».

والحل للذنوب والبعد عن الله يكون بـ: العودة للخضوع لله عز وجل، والمبادرة بالإنابة، والتوبة والاستغفار والإقلاع عن هذه الذنوب، وإذا أذنب العبد المسلم يستغفر ويعزم ألا يعود للذنب مرةً أخرى، فإذا ضَعُف مرة ثالثة يستغفر ويتوب ويعزم ألا يعود، وهكذا كلما أذنب استغفر وتاب لربه وعزَم ألَّا يعودَ إلى الذنب، بهذا يتوب الله عليه ولا تَضُرُّه معصية.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

الدرس الثامن عشر
أسئلة قد تَرِد إلى ذهنك!

السؤال الأول: لماذا هناك شرٌّ في العالم؟ ولماذا هناك حروبٌ وزلازل وأمراض؟

ج: الشر موجود لأننا مُكَلَّفون، فالشر والبلاء والأوجاع؛ لأننا في عالم اختباري.

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء:٣٥].

فالخير والشر والبلاء والنعم لأنك مُكَلَّف، ولأنك مُطالَبٌ بالصبر على البلاء والشر والمرض، ومُطالَبٌ بشكر الله على النعم التي أنت فيها، وهذه غاية وجودك هنا في هذا العالم، قال ربنا سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك:٢].

فبعض الناس إذا أصابه بلاءٌ يصبر، ويؤمن أنَّ هذا قَدَرُ الله، وآخر إذا أصيب ببلاء أو مرض أو فتنة انقلب على وجهه وضَعُف إيمانه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج:١١].

فنحن مُكَلَّفون مُختَبَرون، وعلينا أن نصبر وأن نشكر الله على نعمِه.

وكل تقدير الله وإن كان في ظاهره أذًى ففيه خير وحكمة من الله، انظر مثلًا إلى أفعال الخضر مع موسى عليه السلام، فهذه الأفعال ظاهريًّا مُنكَرَة وغير مستساغة؛ لكنها تكتنف على خيرٍ عظيم.

فالله يقدر بحكمته أشياء قد نراها صعبة؛ لكن في عمقها الخير الكبير ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

فكل تقدير الله خيرٌ لك في الدنيا والآخرة.

انظر للأذى الشديد الذي يتعرض له المجاهد في سبيل الله، ومع ذلك عندما يرى من نعيم الله الذي أعده الله له، فإنه يُحب أن يرجع إلى الدنيا ليعاني من نفس الأذى بسبب ما رأى من نعيم الله في الجنة.

قال النبي ﷺ: «**ما أحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا وله ما علَى الأرْضِ مِن شيءٍ إلَّا الشَّهِيدُ؛ يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا، فيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِما يَرَى مِنَ الكَرامَةِ**».

فمن تدبَّر حكمة الله سيرى عجيب تقديره في كل شيء.

وكثير من الناس ينزل بهم البلاء، فيعودون إلى الله ويصبحون من الصالحين، فسبحان الله العظيم وبحمده.

ويجب على المسلم أن يؤمن بقضاء الله ويستسلم لكل أقدار الله، قال النبي ﷺ: «**وتؤمن بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه**».

ومن لم يؤمن بالقضاء والقدر فهو من أهل النار، قال النبي ﷺ: «**لو أنفقتَ مثل أُحُد ذهبًا في سبيل الله، ما قبِله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مِتَّ على غير هذا لدخلت النار**».

فالإيمان بالقضاء والقدر هو دين المسلم.

السؤال الثاني: لماذا ندعو الله وتتأخر إجابة الدعاء أحيانًا؟

ج: في الحديث الذي رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن

الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، بدأ كلُّ واحدٍ منهم يدعو الله عز وجل بخير ما كان يعمل:

فأولهم: كان بارًّا بوالديه جدًّا إلى درجة أنَّه ظلَّ واقِفًا بإناء اللبن حتى الصباح ليشربا منه.

والثاني: انصرف عن الزنا بعد أن تهيأت له أسبابه.

والثالث: حفظ أُجْرة العامل الذي كان يعمل عنده... حفِظ هذه الأجرة لسنوات ونمَّاها له حتى أصبحت جبالًا من الكنوز، وأَدَّاها للعامل كما هي.

فالشاهد من هذا الحديث أنَّ الصخرة لم تنزح إلا قليلًا مع دعوة كلِّ واحدٍ منهم، ومع انتهاء دعاء الثلاثة انزاحت الصخرة، فخرجوا يمشون.

فالدعاء يحتاج للأخذ بالأسباب، وقد يحتاج لأعمال إيمانية.

فالأنبياء ومن بعدهم كانوا يدعون الله وهم على ظهور الخيل، وقد أخذوا بالأسباب وبذلوا جهدهم.

ونوح عليه السلام دعا ربه على قومه بعد ٩٥٠ عامًا من الدعوة إلى الله والعمل والجهد الدعوي.

فالله عز وجل قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠] لكن قال أيضًا ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ [الأنفال:٦٠].

فخذ بالأسباب وادع الله عزَّ وجل.

فالدعاء يشمل المسألة والطلب ويشمل أيضًا الأخذ بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب.

لذلك قال النبي ﷺ: «**الدُّعاءُ هوَ العبادةُ**».

وهناك معاصٍ تمنع من إجابة الدعاء؛ مثل الأكل الحرام؛

قال النبي ﷺ: «**مَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِّيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟**».

فعلى المسلم أن يتحرى المال الحلال.

وكذلك على المسلم أن يتأدب في الدعاء مع الله عز وجل فيدعوه بتضرع، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

والمسلم لا يتعجل إجابة الدعاء، قال النبي ﷺ: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجل، يقول: دَعوتُ فلم يُستجَب لي**».

ولما دعا موسى وهارون على فرعون قال الله لهما: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ [يونس:٨٩].

مع أنَّ هلاك فرعون وشيعته حصل بعد هذا الدعاء بزمن.

كذلك إبراهيم دعا ربه أن يبعث رسولًا في مكة ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة:١٢٩].

وقد بُعث النبي ﷺ بعد هذا الدعاء بزمن طويل جدًّا.

فنحن ندعو الله عز وجل، وهو سبحانه يجيب عبده بحكمته وعلمه متى شاء وكيف شاء.

والله بفضله يجيب دعاء المضطر في أي وقت وفي أي مكان ولو كان كافرًا ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

وليس أحدٌ على الأرض إلا وقد جرَّب دعاء المضطر.

فعلينا الدعاء والأخذ بالأسباب والرضا بقضاء الله وحسن الظن بالله، وهذا حال المسلم.

السؤال الثالث: ما هي أدلة صدق النبي محمد ﷺ؟

ج: أدلة صدق النبي ﷺ لا حصر لها.

وإذا نظرتَ في سيرته ﷺ ووجدته صادقًا وقد اشتهر بالصدق باعتراف أشد الناس له عداوةً، ولم يُرم بكذبٍ ولا فجورٍ، ثم وجدته يتحدى أهل الدنيا بالقرآن فما يجدون إلا السيف ليسكتوه به، فلابد أنه نبيٌّ إذن.

فالثبات على الصدق مع توافق العقيدة التي جاء بها مع عقيدة الأنبياء السابقين، مع كثرة الأدلة والآيات على نبوته، مع الإخبار بالمغيبات، مع تأييد الله له، مع بشارة الأنبياء السابقين به، مع فطرة الحاجة لنبوته، مع كمال نبوته وإبهار الشرع الذي جاء به، مع انتصار دينه، كل هذا يفيد التواتر القطعي بصحة رسالته ﷺ.

ثم ماذا عن أعظم آية أتى بها وهي القرآن الكريم؟

القرآن الذي تحدى الله به أهل البيان، أن يأتوا بمثله أو بسورةٍ منه، فما فعلوا.

قال الله عز وجل: ﴿ لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة:٢٤].

فما فعلوا، ولا قَدروا.

ولم يزل القرآن الكريم يتحدى بلغاء المشركين وأهل الفصاحة، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته.

يقول د.عبد الله دراز رحمه الله: «ألم يكن يخشى الرسول ﷺ بهذا التحدي أن يثير حميتهم الأدبية؟

فيهبوا لمنافسته وهم جميعٌ حذرون؛ وماذا عساه يصنع لو أن جماعة من

بلغائهم تعاقدوا على أن يُخرجوا كلامًا يساميَه ولو في بعض نواحيه!

ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره فكيف يصدره على الأجيال القادمة؟

إن هذه مغامرة لا يتقدم إليها رجلٌ يعرف قدر نفسه إلا وهو مالئٌ يديه من تصاريف القضاء، وخبر السماء، وهكذا رماها بين أظهر العالم، فكانت هي القضاء المبرم، فكل من عارضه باء بالعجز الواضح، والفشل الفاضح، على مر العصور والدهور»(١).

لقد رأى هؤلاء المشركون أن تجميع الجيوش وتحزيب الأحزاب لمحاربة رسول الله ﷺ أهون وأيسر من معارضة القرآن وقبول التحدي، فهذا بالغ جهدهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

فلم يأت العرب جميعًا ولا الأمم التي نُقل لها التحدي بشيءٍ يستريح له الملاحدة ويريحون به غيرهم.

يقول الألوسي رحمه الله: «فلم ينطق أحد منهم إلى يومنا هذا ببنت شفه ولا أعرب عن موصوفٍ أو صفة».

قال جبير بن مطعم ولم يكن قد أسلم بعد: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هذِه الآيَةَ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧].

---

(١) النبأ العظيم، د. عبد الله دراز رحمه الله، ص٤٤-٤٥.

قالَ: «كَادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ»(١).

فالقرآن فيه أسرار عجيبة تصل للنفس الإنسانية.

تأمل كيف أنَّ نساء المشركين كن يزدحمن حول بيت أبي بكر حين يقرأ القرآن من فرط انجذابهن وتأثرهن به، حتى أفزع ذلك رجال قريش(٢).

ولذلك اجتمعت كلمة وفود العرب على ألا يسمعوا للقرآن ولا يُسمِعوه أهليهم، فهذا هو السبيل الوحيد للبقاء على الكفر.

ومن عجائب القرآن الكريم وعجائبه لا تنفد ما ذكره د.عبد الله دراز -رحمه الله- في قضية نزول آيات القرآن في أوقات متفاوته، ثم يشير النبي ﷺ إلى وضع بعض الآيات في أماكن محددة بين السور وآيات آخرى بين سورٍ أخرى، ثم تظهر في الأخير كل سورة كبناء مستقل، يقول رحمه الله: «في وقت نزول القرآن كانت بعض المواضيع في القرآن تتزايد بمعزل عن مواضيع أُخرى، وتُكوِّن تدريجيًّا وحدات مُستقلة بعد أن تنضم إليها آيات أُخرى نزلت بعدها، وأن بعضها كانت تُضاف هنا، والأُخرى تتداخل مع غيرها هناك، بحسب أمر الرسول ﷺ الذي كان يتلقاه بدوره من الروح القدس.

فإذا أخذنا في اعتبارنا التواريخ التي لا حصر لها - تواريخ نزول آيات القرآن الكريم، ولاحظنا أن هذا الوحي كان بوجهٍ عام مرتبطًا بظروفٍ ومناسباتٍ خاصة، فإن ذلك يدعونا إلى التساؤل عن الوقت الذي تمت فيه عملية تنظيم كل سورة على شكل وحدة مستقلة.

وكأن القرآن كان قطعًا متفرقة ومرقمة من بناء قديم، كان يُراد إعادة بناؤه

(١) صحيح البخاري، ح: ٤٨٥٤.

(١) صحيح البخاري، ح: ٣٩٠٥.

في مكانٍ آخر على نفس هيئته السابقة، وإلا فكيف يمكن تفسير هذا الترتيب الفوري والمنهجي في آنٍ واحد، فيما يتعلق بكثير من السور؟

ولكن أي ضمان تاريخي يستطيع أن يتحصل عليه الإنسان عند وضع مثل هذه الخطة إزاء الأحداث المستقبلة، ومتطلباتها التشريعية، والحلول المنشودة لها، فضلاً عن الشكل اللغوي الذي يجب أن تُقدم به هذه الحلول، وتوافقها الأُسلوبي مع هذه السورة بدلاً من تلك؟

ألا نستنتج ان اكتمال هذه الخطة وتحققها بالصورة المرجوة، يتطلب تدخلاً من خالق عظيم، تتوفر عنده القدرة على إقامة هذا التنسيق المنشود؟»[1].

فالقرآن معجزة مستقلة على صدق نبوته ﷺ.

ومعجزاته ﷺ المادية والغيبية بجانب القرآن الكريم، تزيد على الألف بكثير والعهد بها قريب وناقلوها هم أصدق الخلق وأبرهم.

وهؤلاء الرواة الذين نقلوا إلينا هذه المعجزات كانوا لا يجيزون الكذب فيما دقَّ، فكيف يكذبون عليه وهم يعلمون أنَّ مَن كذب عليه متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، كما حذّر هو ﷺ.

فمعجزاته ﷺ ثابتة، وبعض معجزاته شهدها آلاف الصحابة وبعضها رواه العشرات منهم فكيف يجتمعون على الكذب في كل هذا؟

---

(١) كتاب مدخل إلى القرآن الكريم، د. عبد الله دراز.

أمثلة يسيرة من معجزاته ﷺ:

أخبر ﷺ في ليلةٍ من الليالي بأن ريحًا شديدة ستهُب، ونهى الناس عن القيام، فقام رجل فحملته الريح وألقته في مكان بعيد عن مكانه.[١]

وأخبر ﷺ بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وكبَّر عليه أربعًا[٢].

وأخبر النبي ﷺ بشهادة عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين، وأنهم لن يموتوا على فُرُشِهم كما يموت الناس.

فقد صعد رسول الله ﷺ الجبل ذات يومٍ هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليُ وطلحةُ والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ للجبل: «**اهدأ، فما عليك إلا نبيٌ أو صديقٌ أو شهيد**»[٣].

فحكم لنفسه بالنبوة ولأبي بكر بالصدِّيقية وللباقين بأنهم سيكونون شهداء، وحصل ما أخبر به ﷺ.

وهناك ١٥٠ حديثًا دعا فيهم النبي ﷺ ربَّه وأُجيب في الحال والناس يشهدون![٤]

وحيث سأل أهلُ مكَّةَ رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يُرِيَهُم آيَةً، فأراهُمُ القمَرَ شِقَّينِ، حتى رأَوْا حِراءَ بَينهُما، وهذا الحديث متواتر، أي أنه في أعلى درجات الصحة.

---

(١) صحيح مسلم، ح: ٣٣١٩.

(٢) صحيح البخاري، ح:١٣٣٣.

(٣) صحيح مسلم، ح:٢٤١٧.

(٤) جمع هذه الأحاديث سعبد ين عبد القادر باشنفر، في كتابه دلائل النبوة، والكتاب من إصدارات دار ابن حزم.

وقد كان النبي ﷺ يقرأ سورة القمر التي فيها معجزة شق القمر، كأن يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار كالجُمع والأعياد ليُسمع الناس ما فيها من معجزاته ﷺ وكان يستدل بها على صدق نبوته.

ثم إخبار النبي ﷺ بأن آدم هو آخر الخلق من الكائنات الحية «وخَلَقَ آدمَ بعدَ العصْرِ من يومِ الجمعةِ ؛ في آخِرِ الخلقِ»[1].

وهذه الحقيقة العلمية صارت الآن ثابتة، فكيف علِم ﷺ بأنَّ آدم عليه السلام آخر الكائنات ظهورًا على الأرض بعد ظهور النبات والحيوان؟

وقال ﷺ: «**يوشِكُ يا معاذُ إِنْ طالَتْ بِكَ حياةٌ أنْ تَرَى ما هَهُنا قَدْ مُلِئَ جِنانًا**»[2].

والحديث كان في منطقة تبوك، واليوم منطقة تبوك جنان فيها من كل الثمرات.

وانظر لقول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:١٢].

فمحونا آية الليل: أي أنَّ القمر وهو آية الليل كان مضيئًا ثم مُحي ضوؤه.

وهذا بالفعل ما فسّر به الصحابة الآية الكريمة فقد روى الإمام ابن كثير في تفسيره أنَّ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، وهو آية الليل، فمُحي».

والعجيب أنَّ هذا ما انتهى إليه العلم اليوم، فقد نشرت ناسا على موقعها الرسمي وقناتها الرسمية الحقبة الأولى من عمر القمر وكان فيها

---

(١) صحيح الجامع، ٨١٨٨.
(٢) صحيح مسلم، ح: ٧٠٦.

مضيئًا متوهجًا[١].

فقد ثبت بالتواتر وقوع الآيات والإخبار بالمغيبات التي لا حصر لها على يد رجلٍ واحدٍ ﷺ ، وهذا الرجل جاء بما عليه النبيين من قبله، وكان مؤيدًا من عند الله ولم يَمت حتى تمت الشريعة وكَملت.

فالقطع بأنه نبيٌّ هو رشاد العقل!

فآياته ﷺ الغيبية تزيد على الألف.

وآياته المعرفية تملأ موسوعات.

ونقَلَة المعجزات هم صحابته أصدق الخلق وأبّرهم بعده.

وبعض معجزاته شهدها آلاف الصحابة مثل نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى توضأ منه وشرب ألف وخمسمائة صحابي، والحديث متواتر ورواه البخاري ومسلم.

وتكثير الطعام اليسير ليَطعم منه الجيش العظيم وهذا أيضًا جائت به الأخبار المتواترة عن الصحابة، وقد ذكر البخاري وحده معجزات تكثير الطعام على يد النبي ﷺ في خمسة مواضع من صحيحه[٢].

فإذا كانت أدلة الصدق ثابتة والمعجزات حافلة على نبوته ﷺ ، فأنى لعاقل أن يُكذب بكل هذا؟

والعجيب أن كبار الصحابة أسلموا فقط لكون محمد ﷺ صادقًا، فقد

---

(١) http://www.nasa.gov/mission_pages/LRO/news/vid-tour.html
https://www.youtube.com/watch?v=UIKmSQqp٨wY

(٢) البخاري(١٢١٧) ، البخاري (٢٦١٨)، البخاري (٣٥٧٨)، البخاري (٤١٠١)، البخاري (٦٤٥٢). وكلها أحداث ووقائع مختلفة متباينة وهذا في البخاري وحده!

أسلموا قبل أن يَروا المعجزات وقبل أن يَروا تأييد الله لهذا الدين، وقبل أن يروا الكثير من براهين صحة الإسلام التي ظهرت لاحقًا، فقط أسلموا لأنهم علموا أنه ﷺ صادق.

وهذا الموقف من كبار الصحابة هو موقف عقلي حكيم، فصِدق النبي ﷺ دليل كافٍ مستقل لإثبات صحة النبوة... وهذا لأن: الشخص الذي يدَّعي النبوة إما أن يكون: أصدق الناس، لأنه نبيٌّ... فالنبي هو أصدق الناس.

وإما أن يكون: أكذَبَ الناس، لأنه يفتري كذبًا في أعظم الأمور شأنًا.

ولا يختلط أصدق الناس بأكذب الناس إلا على أجهل الناس[1].

فما أيسر أن يستطيع العاقل أن يُميز بين أصدق الناس وأكذب الناس.

وقد علم الصحابة من سيرته ﷺ أنه أصدق الناس، فهذا كان دليلاً كافيًا على أنه نبيٌّ من عند الله.

وقد اعترف المشركون في أول يومٍ من بعثته ﷺ أنه لم يكذب قط، فقالوا له: «**ما جَرَّبْنا عَلَيْكَ كَذِبًا**»[2].

بل لقد عجَز الكُفار عن إظهار كَذِبةٍ واحدة في كل حياته ﷺ، ولذلك أنكر القرآن عليهم كفرهم مع علمهم بحاله هذا قبل بعثته، فقال ربنا سبحانه: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٩].

فحالُ النبيِّ وسيرته دليلٌ مُستقِلٌّ على أنه نبي.

وصلى الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ثبوت النبوات عقلًا ونقلًا، ابن تيمية، دار ابن الجوزي، ص٥٧٣، وبمعناه في نفس المصدر ص٣١٨.

(٢) صحيح البخاري، ح:٤٩٧١.

فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

الدرس الأول ٦
الدرس الثاني ١٠
الدرس الثالث ١٤
الدرس الرابع ١٨
الدرس الخامس ٢٣
الدرس السادس ٢٧
الدرس السابع ٣٣
الدرس الثامن ٤٠
الدرس التاسع ٤٤
الدرس العاشر ٤٩
الدرس الحادي عشر ٥٣
الدرس الثاني عشر ٥٧
الدرس الثالث عشر ٦٠
الدرس الرابع عشر ٦٦
الدرس الخامس عشر ٧١

الموضوع **الصفحة**

الدرس السادس عشر ٧٥
الدرس السابع عشر ٧٨
الدرس الثامن عشر ٨٢

❊ ❊ ❊